مجلة جامعة الملك سعود، م ١٣، الآداب (٢)، ص ص ٤٣٣-٤٧٨ (١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م).

استراتيجية التوطين وتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية المتوازنة: دراسة وصفية تحليلية للأبعاد الاجتماعية والاقتصادية لاستراتيجية التوطين في عهد الملك عبدالعزيز

سعد بن مسفر القعيب

أستاذ مشارك، قسم الدراسات الاجتماعية، كلية الآداب،
جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية

(قدم للنشر في ٢٣/ ١٠/ ١٤١٩هـ؛ وقبل للنشر في ١٢/ ٦/ ١٤٢٠هـ)

ملخص البحث. تبدو أهمية هذه الدراسة في أنها تصب في ميدان الخدمة الاجتماعية بصفة خاصة، كما تعكس النشاط المبكر في مجال الرعاية الاجتماعية بصفة عامة، حيث يمثل توطين البدو أحد برامج الإصلاح الاجتماعي للمجتمع العربي السعودي. وقد اعتمدت على ثلاثة محاور في جانبها الميداني، إذ استفادت من المقابلة شبه المقننة والملاحظة البسيطة على مستوى الخبراء العرب، والخبراء السعوديين، والإخباريين المحليين (الرواة)، وهم أبناء الهجر التي استوعبت التوطين. وتتلخص أهداف هذه الدراسة في استقصاء دور التوطين في تحقيق التنمية الاجتماعية والاقتصادية المتوازنة من خلال: زيادة الوعي الديني والثقافي، ومدى المحافظة على الحرف التقليدية كالزراعة والرعي، وإحياء الحركة التجارية والعمرانية، واستمرار عمليات التوطين لاضطراد التنمية المعاصرة. وكانت النتائج على مستوى المأمول حيث تم التحقق من جميع تساؤلات الدراسة بطريقة إيجابية، وعلى ضوء ذلك تم إصدار التوصيات اللازمة.

المقدمـــــة

وأنا بصدد إعداد هذه الدراسة الميدانية تحت عنوان "استراتيجيات التوطين وتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية المتوازنة" » أشعر بالتقصير الكبير لأنني أمام موضوع كثر الطارقون له، وربما أجادوا أكثر مني؛ ولكن حسبي أن اجتهدت في تطبيق المنهج العلمي للبحث في العلوم الإنسانية بحيث توصلت في النهاية إلى نتائج وصفية لدراسة ميدانية كان فيها ما فيها من معاناة ونصب؛ لأن العينة المقصودة من الإخباريين قليلة جدا ومتباعدة الأماكن حيث تقطن الهجر التي تقع على مسافات مترامية. ولولا عون الله سبحانه وتعالى ثم الباحثين المساعدين الميدانيين لكان الأمر أكثر مشقة، وربما كان مستحيلا، خاصة أن الإخباريين (الرواة) لن يتكلموا مع أي شخص غريب بصراحة مطلقة، ولما كان المقابلون معروفين لدى الإخباريين فقد سهّل ذلك في جلب المعلومات من الإخباريين بيسر وسهولة.

هذه الدراسة مستلة من كتاب *الملك عبد العزيز وتوطين البادية: دراسة تحليلية من منظور اجتماعي* الذي قدم إلى الأمانة العامة للاحتفالات بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، اللجنة العلمية، لكنه لم يحظ بموافقة النشر، ولذلك رأى الباحث أن يستل معظم ما بذله من جهد في ذلك الكتاب لينشره في مقال علمي أكثر تركيزا وتجردا عبر أحد أوعية النشر العلمية التي تعتمد على التحليل العلمي المتميز في مواد نشرها.

تتألف هذه الدراسة من إطارين رئيسين: الإطار النظري، ويتضمن أهمية الدراسة، والمدخل النظري، والإجراءات المنهجية؛ والإطار الثاني: التحليل الوصفي للدراسة الميدانية، ويدور حول ثمانية محاور تقيس مدى مساهمة التوطين كاستراتيجية فاعلة في عمليات التنمية الاقتصادية والاجتماعية بشكل متوازن حتى تحققت النهضة الكبرى للمملكة التي نجني ثمارها اليوم والحمد لله رب العالمين.

الأهمية العلمية للدراسة

كان البدو في جزيرة العرب قبائل رُحّلاً يعتمدون في معيشتهم على ماء المطر، وما تنبته الأرض من كلأ لمواشيهم، وكانت معيشتهم تتصف بالقسوة، حيث لايعرفون سوى اللبن والتمر، إذا كانت الأرض في زمن الربيع، وإذا أجدبت الأرض فإنهم يعتمدون

على التمر والأقط المذاب في الماء .

هكذا كانت حياة البادية ومستوى معيشتهم ، فهم يجوبون الأرض جنوبا وشمالا ، وشرقا وغربا باحثين عن الكلأ والمرعى .

ولذلك فإن حياتهم تتصف بالشطط والتعب ، وعدم الاستقرار ، وقد ترتب على ذلك العديد من المشاكل الاجتماعية والصحية والنفسية ، حيث تباعد الأرحام ، وضعف التواصل القرابي ، فهم دوما في حياة غربة لاتجد للاستقرار طعما . وقد ترتب على كثرة الترحال والتنقل تدهور الحياة الصحية للنساء والأطفال وكبار السن ، خاصة مع تغير الظروف المناخية أو البيئية ، ولذلك ترتفع نسبة الوفيات بين الفئات الثلاث المذكورة آنفا ، لضعف مقاومتهم للأمراض والمتغيرات المناخية أو البيئية . أما المشاكل النفسية فأكثر من يعاني منها معشر الشباب والنساء ، لأنهم يمرون بمراحل عمرية تحتاج إلى الدعة والسكون وشيء من الرفاهية ، ولكن حياة البادية لاتتيح مثل هذه المتطلبات ، فيظهر الاكتئاب على وجوه الشباب واليأس على وجوه النساء .

ونقل البادية من حياة إلى حياة على طرف النقيض ، أمر له صعوباته ونتائجه الشائكة التي قد يصعب التعامل معها ، ولم يغب ذلك عن فكر الملك عبد العزيز ورجال الإصلاح معه لإدراكهم لمتطلبات المرحلة القادمة ، إذ لابد من اتخاذ خطوة انتقالية تربط بين حياة الترحال المستمر والتحضر المستقر ، فبدت له فكرة توطين البادية المبدئي ، حيث يجمع البدو في منادىء أو ما يسمى بالقطين ، حيث يتوافر الماء والظل ، وفي ذلك ترويض لهذه العناصر لتألف حياة الاستقرار ، ولو لبعض الوقت ، وكلما جربوا محاسن هذا الاستقرار ألفته نفوسهم ، فأخذت تطول فترة إقامتهم في المنادىء ، حتى أنسَتْ نفوس بعضهم إلى هَذه الحياة ، فاتجهوا إلى الهجر ليستقروا فيها ، ويبيعون حياة الترحَال والشطط . وأصبحت هذه الهجر جزءا من شخصيات هذه القبائل الاعتبارية ، لكي يرتبطوا بها . وبذلك كثر المستوطنون بهذه الهجر ، وأخذت تتنامى شيئا فشيئا ، فزاد عدد سكانها ، وشجع البناء في هذه الهجر بدون شروط أو قيود .

ولما استوطنت هذه القبائل ، بدأ تبديل المهنة لديهم تدريجيا ، من مهنة الرعي إلى مهنة الزراعة أولى خطوات التنمية الاقتصادية ، حيث بدأت مظاهر الانسحاب تدريجيا

من حياة البداوة والرعي إلى حياة التحضر والتمدن، وظهرت فوائد التوطين في الحد من العادات غير الحضارية، التي تتعارض مع التحضر والتآلف الاجتماعي، كالعصبية والقبلية وغلظة الطباع، والتغني بسلوكيات الماضي التي تنبذها حياة المجتمع المتحضر وسمات الاجتماع الإنساني.

وهذه هي الغاية وراء برنامج التوطين الذي يسعى لتلبية مطالب اقتصادية واجتماعية، وقد ساعد في تحقيق هذه الغايات بشكل متوازن.

ولقد صاحب عملية التوطين عمليات توعية دينية من قبل علماءالدين الذين عاضدوا الملك عبدالعزيز في مهمته الحضارية، وفهم البدوي القرآن والحلال والحرام، وعذاب الآخرة، فتوطنت قلوبهم، وتحسن سلوكهم. وبذلك نبذ كثير منهم بعض الموروثات التي تتعارض مع الدين كالسلب والنهب والثأر، وأتوا للتحاكم إلى القضاة في مشاكلهم، دون أن يقدموا على الاقتضاء لأنفسهم بأنفسهم، وبذلك تآلف الناس، وتجاوروا وهم من قبائل مختلفة دون أن يجدوا في ذلك غضاضة، وبذلك نجح التوطين في التوصل إلى توطين القلوب قبل توطين الأجسام.

وبعد أن توطنت نفوس رجال البادية، بدأ الارتباط بالأرض يزداد، وأصبح لدى البدوي شد نفسي نحو هجرته أو مورد الماء الذي يقطنه، وزادت هذه العاطفة شيئا فشيئا، حتى أصبحت ولاء وارتباطا عاطفيا لهذه الأرض. وهذه خطوة إلى زيادة الولاء للأمة، التي تدين بدين الإسلام. وكان للعلماء الدينيين دور واضح في زيادة هذا الولاء وتكريسه، وهذا التوطن العاطفي ساعد الملك عبدالعزيز في عملية توحيد البلاد، الذي يعد أكبر إنجاز تحقق في تلك الفترة، حيث لمَّ شتات هذه الأرض المتباعدة الأطراف، ليصبح تحت مظلة واحدة، وتحت لواء واحد، ويتبعون أفرادها قائدا واحدا وتجمعهم مصلحة واحدة وهو مايعنيه توحيد البلاد في مظهره وجوهره، وهو بهذا البعد يمثل التنمية الاقتصادية والاجتماعية المتوازنة لأفراد المجتمع البدوي، ولعل ذلك من أهم الخطط التي اتخذت في إطار سياسة الرعاية الاجتماعية الموجهة للمجتمع السعودي.

المدخل النظري للدراسة

لاشك في أن استراتيجية التوطين خطوة في غاية الأهمية، ولايمكن النظر إليها على أنها عملية ثانوية، لأن سلوك المجتمعات البدوية هو سلوك حيوي يرتبط ويتداخل في نواحي النشاط الاقتصادي والاجتماعي للبلاد، وبذلك تعد مشروعات توطين البدو من أعقد المشروعات لارتباطها الوثيق بأسس ومعايير تقليدية لجماعات معينة. هذه الأسس والمعايير ترجع جذورها إلى عدة قرون، وتؤثر في سلوك الإنسان بشكل مباشر وغير مباشر، وهذا ما جعل استراتيجية التوطين تتميز بالتكامل في جميع عناصرها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وهذا الهدف على وجه التحديد هو ما يتمنى الباحث التوصل إليه في هذه الدراسة، حيث يرى أنه برغم النجاح الواضح الذي لايمكن إغفاله لسياسة توطين البادية وبعض مشروعاتها في المملكة، إلا أن أسباب فشل بعض هذه المشاريع، وعدم تحقيق البعض الآخر لأهدافها المرجوة منها، قد تعود في مجملها إلى عدم تكامل الدراسات المرتبطة بها، إذ ينقص هذه الدراسات جزء هام هو الجزء الاجتماعي، الذي يتعلق بأفراد هذه الجماعات والمتغيرات الاجتماعية المرتبطة بهم، فهذه المشاريع تتعامل مع أفراد لهم قيم ومعايير متوارثة من مئات السنين، وهي في الغالب تعيق إحداث التغير الاجتماعي الذي تتطلبه عملية التوطين، وبالتالي فإن إسهام الخبرة العلمية المتخصصة في مهنة الخدمة الاجتماعية في هذا المجال يعتبر أمرا ضروريا، سواء كان ذلك في الدراسات الميدانية أو في التنفيذ والمتابعة، أو تحليل وتمحيص سياسات الرعاية الاجتماعية الموجهة، التي يمثلها برنامج توطين البادية بالمملكة العربية السعودية كنموذج للتنمية الاجتماعية في إطار طريقة تنظيم المجتمع.

المفاهيم الأساسية للدراسة

١ - التوطن : عملية استقرار تلقائي للإنسان في بقعة من الأرض، واتخاذها مكانا دائما لإقامته.

٢ - توطين البدو : هي عملية تغيير اجتماعي موجه، تهدف إلى حث البدو على الاستقرار في حدود مكانية معينة، ومساعدتهم على استغلال جميع الموارد الطبيعية والبشرية المتاحة لرفع مستوى معيشتهم.

وينقسم التوطين إلى نمطين أساسيين :

أ - التوطين المخطط : وهو القائم على الدراسة العلمية لكافة الإمكانيات المادية والبشرية المتاحة ، وعادة ما تتحمل الدولة الجزء الأكبر من تخطيط هذه المشاريع وتنفيذها والإشراف عليها ، ويمثل ذلك الضواحي التي تخطط على ضفاف المدن الكبيرة ومجمعات الإسكان الشعبي .

ب - التوطين غير المخطط : أو (الهجر) وهو شكل من أشكال التوطين يقوم على الاختيار العشوائي للبدو لبقعة محددة من الأرض للاستقرار فيها ، بناءً على تشجيع الحكومة ومساندتها لهم بتوفير الخدمات العامة اللازمة للمعيشة ، ولكن يظل العبء الأكبر في تعمير هذه الهجر على عاتق الأهالي المقيمين فيها .[١] وهو النموذج الذي ظهر في عهد الملك عبد العزيز .

الأجهزة المعنية بمشروع توطين البدو

تتضافر جهود مختلف المديريات في عهد الملك عبد العزيز من (صحة وتعليم وزراعة ومواصلات وتخطيط . . . إلخ) لتنفيذ البرامج والمشروعات المتعلقة بتوطين البدو ، ينظمها إداريا مكتب خاص بوزارة الداخلية .[٢]

التمهيد لترسية مشروع توطين البدو

تم توحيد شبه الجزيرة العربية لأول مرة في القرن السابع الميلادي تحت لواء الإسلام ، وقد شكّل الإسلام أول تحدٍّ للبداوة ، لأنه أدى إلى قيام سلطة مركزية ، ولأن القوانين والتشريعات القبلية الهشة قد عدلت وبدلت ، بالإضافة إلى أن تطبيق تعاليم الإسلام يتطلب حياة مستقرة متجمعة ، كإقامة الصلاة جماعة مثلا وبعض النظم المتعلقة بالملكية

---

(١) سلوى عبدالحميد الخطيب ، "توطين البدو في المملكة : دراسة اجتماعية لهجرة الغطط ، " رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الملك سعود ، قسم الدراسات الاجتماعية ، ١٩٨١م ، ٢٨-٢٩ .

(٢) فيكتو ألكك ، "المملكة العربية السعودية قلعة صناعية ضخمة لا تهدأ ، " *مجلة المنهل* ، ٣٩ (١٩٧٨م) ، ٦٦١-٦٦٢ .

والإرث والتجارة ، وفي وقت مبكر من القرن العشرين عندما كان الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - يرسخ قوته في المملكة العربية السعودية أدرك أنه لايمكن بناء هيكل سياسي دائم على البداوة والولاءات القبلية غير المؤكدة ، ومن ثم بدأ بتنفيذ برنامج لتوطين البدو الرحّل في عام ١٩١٢م وحتى عام ١٩٣٠م . كان هناك مايزيد على ٢٠٠ مستوطنة بدوية (هجرة)، وقد مثلت هذه المستوطنات المحاولة الرسمية الأولى من قبل الحكومة لتوطين البدو ، ونفذت بعدها الخطة الثانية لتوطين البدو عام ١٩٥٨م عندما بدأت الحكومة مشروع وادي السرحان على الأراضي قرب الحدود الأردنية .[٣]

علاقة المشروع بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية

تأتي برامج (توطين البدو) في مقدمة مشروعات تنمية البادية اقتصاديا واجتماعيا ، وتعد الزراعة من أهم وسائل هذه البرامج بما تتضمنه من استقرار ، ولاشك أن من أهم أهداف التنمية الزراعية وبرامجها المختلفة هو العمل على توطين البدو ، وبالتالي فا لتوطين يتجاوز بأهدافه عملية التهجير البسيطة التي لاتستهدف أكثر من نقل السكان من مكان إلى مكان ، ولكنه قد يشتمل على التهجير أحيانا ، وذلك في حالة قلة الموارد القابلة للتنمية في البيئة المحلية ، غير أن غايته الأساسية هي القضاء على الترحل وتكثيف المترحلين في مراكز استقرار مرتبطة بموارد اقتصادية غير قابلة للنضوب . إذن لابد أن يتضمن التوطين التنمية الاقتصادية والاجتماعية للبيئة المحلية ودراسة واسعة للموارد الممكنة والمتاحة ، والتعرف على الحالة الحضارية للمجتمع المحلي ، لأن التوطين يتضمن قيام علاقات إنتاجية جديدة ، وحتى لايتعرض المجتمع إلى انقطاع الاستمرار في قيمه ونظمه الحضارية ، وفي نفس الوقت عليه أن يتطور في اتجاه المعطيات الجديدة ، خاصة ما يتصل بمفهوم الملكية وتراكم الثروة والعمل واكتساب المهارات اللازمة من خلال التدريب . وتعد مرحلة التكيف الحضاري من أهم مراحل التوطين ، إذ أن مشكلة التوطين الأساسية ليست في الجانب

---

(٣) أحمد عبدالرحمن الشامخ ، "توطين البدو في المملكة العربية السعودية (الهجر)، " نشرة دورية تعنى بالبحوث الجغرافية ، يصدرها قسم الجغرافيا ، جامعة الكويت ، ١٩٧٩م ، ١٣ .

المادي وإمكانياته فحسب ، وإنما هي في الجانب الحضاري والاجتماعي أساسا .(٤)

وقد حقق التوطين النمو العمراني التدريجي ، وساعد على تيسير خدمات المواصلات التي تسهل مراقبة الحدود السياسية ، ورفع مستوى النمو الزراعي والمستوى التعليمي والثقافي لسكان الهجر ، وساعد على تحقيق الأمن القومي للوطن الكبير .(٥)

ولكي تكون برامج التوطين وسياستها محققة لأهدافها ، ولكي يكون التوطين تجربة ناجحة يمكن الاستفادة بمعطياتها ، فإن الأمر يقتضي الإجراءات التالية :

١ - دراسة ظروف البيئة التي تم إجراء التوطين فيها .

٢ - تحليل ظروف التوطين الخاصة بالمجموعات الموطنة ، وذلك لمعرفة ميزات حياتها ، وأوضاعها الاجتماعية والاقتصادية وسلوكها ، وكيف استطاع التوطين تقويمها .

٣ - التعرف على مختلف الظروف الاقتصادية والاجتماعية ، والتي ساعدت على توجيه التوطين لتحقيق نتائج إيجابية .

٤ - معرفة الإمكانيات التي ساعدت على مباشرة عمليات التوطين بصورة صحيحة ، وأدت إلى تفعيل هذا المشروع .(٦)

وبالنظر للتوطين كإطار للتنمية الاقتصادية والاجتماعية المتوازنة يفترض أنه قد أدى إلى جمع القبائل البدوية المتفرقة في صحراء الجزيرة العربية في هجر زراعية تجعلهم يشعرون بمسؤولية المواطنة ، وحب الاستقرار ، فهو عمل أريد به تطوير نزعة البدو الفطرية إلى الحرب ، وإشعارهم بأنهم أعضاء في جماعة واحدة ، وإحساسهم بأن الهجر التي أنشئت لهم هي بمثابة وطن صغير لهم داخل وطنهم الكبير . كما استهدف أيضا تطوير البلاد تطويرا اقتصاديا بفضل إيجاد قرى زراعية يمكن بواسطتها تحسين الأحوال المعيشية لسكان البادية ، وبهذا المشروع الكبير قد طورت حياة البدو الثقافية والاجتماعية

---

(٤) عمر الفاروق سيد رجب ، " إيكولوجية البداوة في المملكة العربية السعودية ، " *مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية* ، ١١ (١٣٩٧هـ) ، ١١١-١١٢ .

(٥) عبدالله محمد الخريجي ، *بعض تجارب التنمية في الوطن العربي ، دراسة لعمليات التهجير والتوطين* (جدة : دار الشروق ، ١٩٨٠م) ، ٣٩-٤٠ .

(٦) محمد علي الجاسم ، " توطين البادية في المملكة العربية السعودية ، " *مجلة العرب* ، ١١-١٢ (١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م) ، ٨٨٩ .

والاقتصادية، حين عُلّم البدو المبادئ الدينية وفن العمل في الزراعة، وعمارة البيوت والمساجد، وهكذا كانت الهجرة الزراعية تشكل وحدة إدارية اقتصادية مستقلة، قائمة بذاتها. وبهذا المشروع التوطيني يكون البدو الرحل قد وجهوا إلى الوظائف العسكرية والإدارية التي كانت مقدمة من مقدمات قبول البدو للنظام وتعود الطاعة، وبذلك فإنهم قد صرفوا عن الغزو القبلي المحلي.[٧]

تقويم استراتيجية التوطين

لايمكن اعتبار الجماعات البدوية جماعات انعزالية، مستقلة استقلالا تاما عن المجتمع السعودي، بل يمكننا إثبات العكس، فلو أخذنا بعين الاعتبار عدد هذه الجماعات، أو توزيعها الجغرافي لاكتشفنا أنها تعد العنصر الغالب في البيئة الاجتماعية، وهي تلفت الأنظار معلنة عن وجودها، حتى في الأحياء القائمة بالقرب من المدن الكبيرة وهذه الجماعات تتجاوب وتتفاعل مع كل ما يطرأ على البيئة من تغيرات اقتصادية واجتماعية، وإن كان هذا التأثير لايحدث في كل الجهات، وبنفس الكيفية والدرجة، ومما لاشك فيه أن حفر آبار المياه والتنظيم الإداري للبلاد، وشق الطرق وتعبيدها وإدخال الوسائل الحديثة على طرق المواصلات، وفتح المدارس والمستوصفات، وإقامة مراكز الخدمة والتوعية الاجتماعية، تعتبر كلها من عوامل تغيير وتبديل البيئة الاجتماعية وتطوير التفكير والسلوك العام. وعلى أثر هذا التطور يمكن أن تأتي استراتيجية التوطين بثمارها، ولقد تحقق ذلك بالفعل أحيانا وبطريقة تلقائية. وإذا أمعنا النظر في العوامل الرئيسة والثانوية وذلك لتداخلهما، لوجدنا أن الدين مثلا عامل رئيس في توطين البدو في عهد الملك عبدالعزيز، ولكن تأثير هذا العامل لم يلبث أن خفت حدته بعد هذه الفترة، وأخذ يضمحل تدريجيا لأنه لم يرتبط بعوامل أخرى متناسقة معه. وقبل اكتشاف حقول البترول بمدة طويلة كانت الزراعة في واحتي القطيف والأحساء تلعب دورا هاما في توطين بعض القبائل؛ أما

---

(٧) عبدالفتاح حسن أبو علية، "الجذور الأولى لمشروعات توطين البدو في جزيرة العرب،" *مجلة الدارة*، ١ (ربيع الأول ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م)، ١١٩-١٢٠.

البترول فهو أيضا يلعب دورا هاما منذ عشرات السنين ، ولكن تأثيره لم يدم على حال واحدة حيث التقلبات التي طرأت على أسعاره .

من ذلك يتبين لنا أن استراتيجية توطين الجماعات البدوية وشبه البدوية ، وإن جرت عملياتها وفقا لخطة مرسومة ، وضعت بعد إمعان ودراسة ، إلا أنها تتعرض كثيرا لتأثير ظروف عدة ، كان التنبؤ بوقوعها في بعض الأحيان أمرا صعبا ، وهي تؤثر بدورها في البيئة الاقتصادية والاجتماعية . وانعكس ذلك على اقتصاديات الرعي وتربية الحيوانات ، حتى أصبح البدو يفضلون تربية الضأن على تربية الإبل ، كما أصبح البدو يرغبون في تبديل طريقة معيشتهم ، كنتيجة لاتصالاتهم ببيئة اقتصادية جديدة ؛ أيضا أصبح الكثير من الجماعات البدوية مهتما بعملية تعليم الأبناء . أما عامل الماء ، فهو لايكون عاملا قويا يدفع للتوطين إلا إذا بلغ حدا معينا من الكم والكيف ، ولذلك لا يمكن أن نعتقد أن العوامل التي أدت إلى نجاح استراتيجية التوطين محدودة في عامل أو اثنين ، لأن التوطين من أعقد العمليات التنموية وأصعبها .[٨]

الإطار المنهجي للدراسة

معظم الدراسات التي أجريت حول موضوع التوطين ، جاءت في صورة دراسات تاريخية أو جغرافية أو أدبية مفتقرة إلى نهج تحليلي من منظور الرعاية الاجتماعية .

ولذا أكد كثير من الباحثين على أنه لاتزال المكتبة العربية لاتضم سوى القليل النادر من الدراسات الاجتماعية ، وهذا ما لمسه الباحث من خلال اطلاعه على الإصدارات العلمية في هذا المجال . وكذلك ما أكده بعض الباحثين أمثال : محمد عبده محجوب في كتابه *أنثروبولوجيا المجتمعات البدوية* ، وسلوى عبدالحميد الخطيب في دراستها " توطين البدو في المملكة العربية السعودية . "

ولسنا بحاجة إلى تكرار ما تؤكده كتب مناهج البحث الاجتماعي مثل : *مناهج البحث في علم الاجتماع* لمعن خليل عمر ، و *أسلوب البحث الاجتماعي وتقنياته* لعبدالله عامر الهمالي ، وهي ترى في مجملها أن التركيز على الدراسات الحقلية هو الذي سيعود في النهاية إلى الفهم المنشود للمواضيع الاجتماعية المختلفة كظاهرة التوطين مثلا .

(٨) الخريجي ، بعض *تجارب التنمية* ، ١١١-١١٥ .

وترجع أهمية هذه الدراسة إلى أنها محددة جدا، إذ اقتصرت على موضوع " التوطين في عهد الملك عبدالعزيز، " وتلك فترة قريبة، حيث نستطيع أن نجد إخباريين يحملون في صدورهم تاريخ هذا الموضوع، مما يجعل الدراسة تستفيد من هذه المعلومات في تحليلها الموضوعي.

نوع الدراسة

هذه الدراسة من الدراسات الاجتماعية الوصفية التحليلية، إذ تحاول وصف "استراتيجية التوطين" وفهمها، وذلك سيتضح من خلال خطوات المنهج العلمي الذي اعتمدت عليه.

منهج الدراسة

تعد هذه الدراسة بمثابة دراسة وصفية تحليلية تقوم على التعرف على المعلومات المتعلقة "باستراتيجية التوطين، " فهذه الدراسة ربما كانت إسهاما جيدا لفهم هذا الموضوع وأثره على استقرار المجتمع العربي السعودي، ومن ثم نموه ونهضته. والمنهج المستخدم في هذه الدراسة هو المنهج الاستقرائي، ويعني أسلوب التفكير الذي ينتقل من الحكم على حقيقة جزئية إلى استخلاص نتائج عامة، والذي يعتمد على استخدام طريقة العينة لإمكانية الوصول إلى نتائج دقيقة، وبالتالي تعميم هذه النتائج على مجتمع البحث.

وهذا المنهج المستخدم (التحليلي الوصفي) يعتمد على بعض الخطوات العلمية التي تفيد في فهم موضوع الدراسة والتي تتمثل فيما يلي:

- محاولة قراءة ما كتب حول الموضوع وذلك من خلال الاطلاع على الدراسات السابقة لاستنباط الأهمية العلمية للموضوع، ولأن الدراسة من الدراسات الاجتماعية الوصفية التحليلية، فقد اعتمدت على الأدوات التي تعتمد عليها كل هذه الدراسات.

- كما أن أهم ما يميز المنهج التحليلي الوصفي، اعتماده على التحليلات الكيفية للمعلومات الوصفية التي يتم جمعها من الميدان، ولذا فالمزاوجة بين المنهج الوصفي والتاريخي تعتبر أنسب المناهج لطبيعة هذه الدراسة وذلك للاستفادة بكلا الأسلوبين، حيث يتمتع كل واحد منهما بإيجابيات تعوض قصور الآخر، وتعطي أيضا الدراسة عمقا منهجيا يؤكد صحة نتائجها.

الأدوات المستخدمة في الدراسة

استخدمت هذه الدراسة بعض الأدوات مثل : المقابلة شبه المقننة والملاحظة البسيطة ، كأداتين هامتين من الأدوات المستخدمة في البحوث الاجتماعية الكيفية ، هذا بالإضافة إلى أن تحليل البيانات بطريقة كيفية يعتمد على تحليل البيانات الوصفية والربط بينها بطريقة وظيفية تساهم في تحقيق أهداف الدراسة .

استغرق جمع البيانات الميدانية مدة الفصل الدراسي الثاني من العام ١٤١٨/ ١٤١٩هـ بمشاركة الباحثين المساعدين .

استخدم الباحث استمارة المقابلة شبه المقننة (الاستبار) interview كأداة رئيسة لجمع البيانات ، التي تتطلبها أغراض الدراسة . والتي تعد من الوسائل الهامة في جمع البيانات ، والتي يشيع استخدامها في البحث الاجتماعي ، عندما تكون البيانات المطلوبة ذات صلة وثيقة بمشاعر الأفراد ، ودوافعهم ، وعقائدهم نحو موضوع معين ، وكذلك بالنسبة للمواقف التي يصعب الحصول على بيانات عنها بطريقة الملاحظة كالمواقف الماضية والمستقبلية .[٩]

وتعد المقابلة من الأدوات الرئيسة في جمع البيانات في دراسات الأفراد والجماعات الإنسانية ، وهي أكثر الوسائل شيوعا وفاعلية في الحصول على البيانات الضرورية . والمقابلة تقتضي الالتقاء بعدد من الناس وسؤالهم شفويا عن بعض الأمور التي تهم الباحث بهدف جمع إجابات تتضمن معلومات وبيانات يفيد تحليلها في تفسير المشكلة أو اختبار الفرض .[١٠]

والمقابلة بشكل محدد هي استبانة شفوية يقوم من خلاله الباحث بجمع معلومات وبيانات شفوية من المفحوص ، حيث يقوم الباحث بنفسه بكتابة إجابات المفحوص في المقابلة . ولذا عمد الباحث إلى إجراء مقابلات شبه مقننة مع ما يلي :

- مقابلات شبه مقننة لبعض المسؤولين في مجتمع الدراسة - كأمراء الهجر أو من يقوم مقامهم .

---

(٩) عبدالباسط محمد حسن ، *أصول البحث الاجتماعي* (القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٩٨٠م)، ٣٢٥ .

(١٠) عادل مختار الهواري ، *مناهج البحث الاجتماعي* (الكويت : مكتبة الفلاح ، ١٤١٣هـ)، ٣٠١ .

- مقابلات شبه مقننة لكبار السن من أبناء المجتمع، الذين عايشوا تاريخ الملك عبدالعزيز، أو كانوا رواة عن آبائهم الذين عايشوا تلك الفترة الزمنية.

- مقابلات شبه مقننة لنخبة من الأساتذة من قسم التاريخ والمهتمين بهذا الموضوع - التاريخ الحديث - بالإضافة إلى عدد من أساتذة قسم الدراسات الاجتماعية المهتمين بالتنمية الريفية.

- مقابلات شبه مقننة لعينة من الخبراء العرب الذين حضروا ندوة ظفار بين الماضي والحاضر والتي عقدت بمدينة صلالة بدولة عمان من ١٧ - ١٩ جمـــادى الآخرة ١٤١٨هـ.

وقد تم إعداد استبانة خاصة للمقابلة شبه المقننة، تشمل مجموعة من الأسئلة تتناول جميع الأبعاد التي يتضمنها البحث موضوع الدراسة - وذلك بعد أن تم مسح الدراسات السابقة حول الموضوع - لكي يتم عن طريقها جمع المعلومات بطريقة منظمة، وهي في نفس الوقت تعتبر من الوسائل المهمة لجمع المعلومات، حيث إن البيانات التي تجمع بواسطة المصادر التاريخية والاجتماعية لاتفي بجميع الجوانب المراد دراستها، كما أنها لا يمكن أن تساعد الباحث على جمع بيانات محددة لجميع عناصر الموضوع، لتتم الإحاطة بموضوع الدراسة بشكل شمولي ودقيق.

وقد روعي عند تصميم الاستمارة (الاستبار) ملاءمتها مع إطار البحث وخدمة أغراضه والقدرة على الإجابة عن تساؤلات الدراسة. ويتكون الاستبار من مجموعة من الأسئلة المفتوحة المتتابعة وتشتمل على أحد عشر سؤالا. وذلك بهدف التعرف على كافة الاحتمالات الممكنة لأغراض الدراسة.

الملاحظة البسيطة، وهي الجهد الذي يقوم به الباحث المساعد الذي يقوم بجمع البيانات من الميدان دون علم الوحدة الملاحظة مما يجعله يضمن الحصول على المعلومات التي تمكنه من الإجابة عن أسئلة بحثه وتمحصيها. فهذه الأداة ساهمت في تمكين الباحث من الوصول إلى نتائج أكثر دقة وموضوعية حول موضوع الدراسة، كما ساهمت في تكوين صورة عامة عن المجتمع المراد دراسته، وقد كانت عملية تمهيدية لإجراء المقابلة شبه المقننة التي طبقت على الميدان مع العينة العمدية التي تم اختيارها.

الصدق والثبات لأداة جمع البيانات

بعد أن أعد الباحث الاستبار بشكله النهائي تمهيدا للنزول للميدان لجمع البيانات، قام بعرضه على مجموعة متميزة من أساتذة علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية بقسم الدراسات الاجتماعية بجامعة الملك سعود كمحكمين للاستبانة، وذلك بهدف الوقوف على آرائهم حول أسئلة الاستبانة ومدى استيفائها لعناصر الموضوع، ومدى كفايتها وحاجتها إلى إضافة، ومدى وضوح الصياغة، وكذلك في مدى قدرتها على معالجة مسألة البحث بشكل يخدم الهدف العام. ولقد استفاد الباحث من ملاحظاتهم، وعلى ضوئها تم إجراء بعض التعديلات في صياغة الأسئلة وإضافة ما يلزم إضافته، وبما أنه منهجيا يمكن الاكتفاء بالصدق عن اختبار الثبات، حيث إن كل مقياس صادق ثابت وليس العكس، فقد اكتفى الباحث بهذه العملية لتحقيق الصدق والثبات لاستبانتي البحث.

مجتمع الدراسة

حتى يتمكن الباحث من ضمان الدقة بقدر الإمكان قام بالتأكد من عينة الدراسة حيث تمثيلها للواقع الفعلي، فقد تم اختيار عينة شاملة لكل المناطق ذات العلاقة بالتوطين.

أما بالنسبة لعينة الرواة فإن الباحث حددها بحوالي ثلاثة من الرواة في كل قرية تم اختيارهم عشوائيا، وهم من كبار السن ممن يتمتعون بذاكرة جيدة ومعلومات موثوق بها فيما يتعلق بتراث المنطقة وتاريخها ونشاطها الاقتصادي والاجتماعي. وتسمى هذه الطريقة التي تم بها اختيار عناصر الدراسة بالعينة الغرضية غير العشوائية، حيث إن الباحث يقوم باختيار هذه العينة اختيارا حرا على أساس أنها تحقق أغراض الدراسة التي يقوم بها. ولذا نجد أن الباحث بهذا الأسلوب يقدر حاجاته إلى المعلومات، ويختار عينته بما يحقق له غرضه. ولذا تم اختيار الرواة من قبل الباحث بهذه الطريقة.[١١]

وفيما يلي الجداول التوضيحية لعينة الدراسة على المستويات الثلاثة الآتية:

١ - الخبراء العرب

٢ - الخبراء السعوديون

٣ - الإخباريون(الرواة)

---

(١١) ذوقان عبيدات وآخرون، *البحث العلمي ومفهومه وأدواته وأساليبه* (عمان: دار الفكر، ١٤١٧هـ).

حيث تم توزيع ثلاثين استبانة على الخبراء العرب الذين حضروا ندوة ظفار بين الماضي والحاضر والمعقودة في مدينة صلالة بدولة عمان من ١٧ إلى ١٩ جمادى الآخرة ١٤١٨هـ، الموافق ١٩ -٢١ أكتوبر ١٩٩٧م. واستجاب من الخبراء عشرون خبيرا، استبعد من هذه الاستبيانات عدد (٧) لعدم استيفائها بشكل جيد، ليصبح العدد المستوفى لبيانات الاستبانة ثلاثة عشر خبيرا كما يبين جدول رقم ١.

جدول رقم ١ . توزيع عينة الخبراء العرب.

رقم	الدولة	التخصص	عدد الخبراء
١	العراق	تاريخ	١
٢	مصر	تاريخ	١
٣	عُمان	آثار	١
٤	عُمان	آثار قديمة	١
٥	عُمان	فن معماري	١
٦	السعودية	تاريخ	١
٧	المغرب	تاريخ	١
٨	الأردن	آثار	١
٩	عُمان	مهندس معماري	١
١٠	عُمان	مدير عام إدارة التراث والثقافة - وزارة التراث والثقافة	١
١١	عُمان	جغرافيا	١
١٢	العراق	طب البيئة	١
١٣	عُمان	التراث النسائي	١

كذلك تم توزيع خمس عشرة استبانة على الخبراء السعوديين من أساتذة جامعة الملك سعود وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، والمهتمين بموضوع الدراسة، استجاب منهم ثلاثة عشر خبيرا واعتذر اثنان . استبعد من الاستبانات المعبأة خمس استبانات لأنها غير مستوفاة، وأصبح عدد الاستبانات المحققة لأغراض البحث ثماني استبانات موزعة حسب جدول رقم ٢.

جدول رقم ٢ . توزيع عينة البحث من الخبراء السعوديين .

م	التخصص العام	التخصص الدقيق	عدد الخبراء
١	تـــاريخ	التاريخ الحديث	١
٢	تاريـــخ	التاريخ الإسلامي	١
٣	علم الاجتماع	مدارس علم الاجتماع	١
٤	علم الاجتماع	الريفي والبدوي	١
٥	علم الاجتماع	علم السكان	١
٦	علم الاجتماع	نظريات علم الاجتماع	١
٧	خدمة اجتماعية	مجالات الخدمة الاجتماعية	١
٨	خدمة اجتماعية	التنمية الاجتماعية الريفية	١

وأخيرا تم توزيع عدد (٦٠) استبانة على عينة الإخباريين ، وقد استجاب عدد (٥٠)، استبعد منها عدد (١٠) استبانات لعدم استيفائها، وأصبح إجمالي الاستبانات المستوفية لأغراض البحث أربعين(٤٠) وهي موزعة حسب جدول رقم ٣ .

جدول رقم ٣ . توزيع مجتمع الدراسة من الإخباريين (الرواة) .

رقم	المنطقـة	المدينة	عدد الإخباريين
١	الريـاض	الغطغط	٢
٢	الريـاض	رماح	٢
٣	القطيف	تاروت	١
٤	الشرقية	جودة	١
٥	القصيم	البدايع	٢
٦	الوشم	الجريفه	٢
٧	الوشم	المشاش	١
٨	الداودمي	الجمش	٢
٩	الداودمي	البجاديه	١
١٠	الدوامي	ساجر	٢
١١	بيشـة	الشقيقة	١
١٢	الخـرج	الدلم	١

تابع جدول رقم ٣.

رقم	المنطقــة	المدينة	عدد الإخباريين
١٣	المنطقة الجنوبية	النماص	١
١٤	القصيم	وضاخ	١
١٥	القصيم	ضرية	١
١٦	عفيف	الخالدية	١
١٧	عفيف	البادرية	١
١٨	المجمعة	الأرطاوية	٢
١٩	المجمعة	المحامة	٢
٢٠	الأفلاج	واسط	١
٢١	المدينة المنورة	الحناكية	٢
٢٢	حفر الباطن	سامودا	٢
٢٣	الجوف	خوعاء/ دومة الجندل / زلوم	٣
٢٤	الجوف	ميقوع ، فارا	٢
٢٥	الدوادمي	الظاهرية	١
٢٦	الدوادمي	الدارة	١
٢٧	الدوادمي	المسفرية	١

أهداف الدراسة وتساؤلاتها

وفي ضوء ما تقدم فإنه يمكن إيجاز الأهداف الأساسية لهذه الدراسة في محاولة لوصف الملامح الأساسية لظاهرة التوطين حيث تتلخص فيما يلي :

١ - معرفة أثر التوطين في زيادة الوعي الديني .

٢ - معرفة أثر التوطين في رفع الوعي الثقافي .

٣ - معرفة أثر التوطين في رفع المستوى التعليمي لأبناء البادية .

٤ - معرفة دور التوطين في نمو الوعي الزراعي لدى أبناء البادية .

٥ - معرفة انعكاسات التوطين على النشاط الرعوي الطبيعي .

٦ - معرفة دور التوطين في التوسع العمراني .

٧ - معرفة دور التوطين في النمو التجاري .

٨ - معرفة دور التوطين في توحيد البلاد .

٩- معرفة أثر التوطين في النمو الحضري الراهن .

١٠- استطلاع مدى استمرار فعالية التوطين في العمليات التنموية المعاصرة .

ويمكن تحقيق أهداف هذه الدراسة من خلال استقصاء آراء بعض الخبراء والإخباريين حيث الإجابة عن الأسئلة التالية المفتوحة النهاية :

س١ : يعد التوطين وسيلة لزيادة الوعي الديني، ما الأسباب من وجهة نظرك؟

س٢ : يعد التوطين وسيلة لارتفاع الوعي الثقافي، ما الأسباب من وجهة نظرك؟

س٣ : هل ساعد التوطين على ارتفاع المستوى التعليمي لأبناء البادية؟

س٤ : هل كان التوطين وسيلة حيوية لنمو الحياة الزراعية والمحافظة على النمط الرعوي؟

س٥ : ما مدى مساهمة التوطين في التوسع العمراني؟

س٦ : ما دور التوطين في النمو التجاري؟

س٧ : كيف كان التوطين عملية استراتيجية لتوحيد البلاد؟

س٨ : هل ترى أن النمو الحضري الراهن يعتبر اطرادا لعمليات التوطين ؟ وكيف؟

س٩ : ما مظاهر استمرار فعالية التوطين في العملية التنموية المعاصرة للمجتمع السعودي؟

تحليل معطيات الدراسة الميدانية

اعتمدت هذه الدراسة في تحليلها الوصفي على ثلاثة محاور :

١- آراء الخبراء العرب الذين تمت مقابلتهم في ندوة ظفار في مدينة صلالة بدولة عمان .

٢- آراء عينة من الخبراء السعوديين في المجالات العلمية التالية :

أ- التاريخ الإسلامي والتاريخ الحديث .

ب - علم الاجتماع الريفي وعلم السكان .

جـ- الخدمة الاجتماعية : المجالات والتنمية الريفية .

٣- آراء عينة عمدية من الإخباريين (الرواة) السعوديين في الهجر ومناطق التوطين وهم من كبار السن والحفاظ .

وقد تمت مقابلة هذه العينة وجها لوجه بواسطة الباحثين المساعدين الميدانيين .

وقام الباحث بتدوين آراء مصادر جمع المعلومات بطريقة تحليل المضمون لجميع الآراء في شكل متسق ومحقق لكل أهداف الدراسة ، وبذلك غطى موضوع الدراسة نظريا من قبل فئة الخبراء وواقعا من قبل الرواة الإخباريين .

التحليل الوصفي لمعطيات الدراسة الميدانية

التوطين والوعي الديني والثقافي

أولا : رأي عينة الخبراء العرب حول مساهمة التوطين في زيادة الوعي الديني والثقافي

يفيد الخبراء أن التوطين يعني الاستقرار ، والاستقرار يتيح التفكير في النواحي الثقافية وكذلك زيادة الوعي الديني ، وذلك لتفرغ البدو من مسؤوليات الانتقال ومصاعب الطبيعة ، بالإضافة إلى أن التوطين يساعد على تكوين الأسرة وتنظيم العلاقات الأسرية ، ويرى بعضهم أنه يجب المحافظة على حياة البداوة ولكن بشيء من التطوير ، بحيث يصبح البدو مُرَبِّي مواش بأساليب حديثة ومتطورة ، وإتاحة التعليم لهم لرفع مستوى ثقافتهم وهم في مناطقهم . ووجهة نظر أخرى ، ترى أن عدم التوطين سيبقي البدو على جهالتهم ، وربما كلف ذلك الدولة أضعاف التكاليف في تقديم الخدمات المختلفة . ذلك لأن الاستقرار يتيح الفرصة للتعليم بيسر وبساطة ، والتعليم بدوره يغير كثيرا من المفاهيم التي تنعكس إيجابيا على حياة الفرد وتساعد على التحضر ، ولعل وجود المساجد والمدارس في الهجر يساعد المتوطنين على زيادة الوعي الديني والثقافي ، وهو الأمر الذي تبدو استحالته في حياة البدو الرُحَّل .

وبعض الخبراء الذين تمت مقابلتهم ، يرون أن التوطين لابد أن يكون مقننا لأنه بذلك يعمل على تحقيق الأهداف الخاصة لخلق المجتمع المديني ، ويساعد على استقرار الإنسان

في بيئته ، وذلك يساهم في تنمية موارد تلك البيئة لرفع مستوى الحياة الاقتصادية والاجتماعية . ومن المسلم به أن التوطين يحقق أهداف التمدن والتحضر ، والغايات السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وذلك للأسباب التالية :

١ - الاستقرار يتيح الفرصة للمعرفة ، كما أنه يتيح الحصول على مختلف المرافق الأخرى كالمدارس والمساجد والمتاجر .

٢ - وصول البث الإعلامي إلى أماكن الاستيطان يساعد المتوطنين على زيادة وعيهم الثقافي والديني .

٣ - وجود المنتديات في الهجر يساعد على زيادة الوعي الثقافي والديني .

٤- يعد التوطين وسيلة فاعلة لتحقيق أهداف طريقة تنظيم المجتمع في تنمية المجتمع .

ثانيا : رأي عينة الخبراء السعوديين حول مساهمة التوطين في زيادة الوعي الديني والثقافي

يشير بعض الخبراء السعوديين الذين تمت مقابلتهم إلى أن التوطين له أهمية عظيمة ، إذ يرتبط البدوي بالأرض ويستقر ، وهذا يمكنه من حضور الدروس الدينية التي تعقد في المساجد . بالإضافة إلى أن التوطين أتاح لأبناء البادية الالتحاق بمجالس العلم ، وبذلك ارتفع الوعي الديني لدى الأسر البدوية .

ويضيف آخرون بأن التوطين ساعد على نشر الوعي الديني في بدايات تأسيس المملكة العربية السعودية ، وقد كان في السابق تعم الأمية والجهل بمعظم التعاليم الدينية لكثير من السكان . وبطبيعة الحال ، فإن المجتمع العربي لديه نوازع دينية ولكن يشوبها بعض الخرافات والبدع ، وقد استفاد الملك عبدالعزيز من عمليات التوطين في تصحيح تلك البدع بواسطة مشايخ الدين (المطاوعة) . وصاحب ذلك دعم الملك عبدالعزيز المادي والمعنوي للناس للإقبال على الدين وتغيير اتجاهاتهم نحو الولاء للدين ثم للوطن ثم للسلطة السياسية . وقد استفاد الملك من التاريخ السياسي للدولة السعودية الأولى حيث قامت على تحالف السياسة والدين لإنشاء دولة قوية الأركان تقوم بنشر الدعوة السلفية الصحيحة .

ومجمل القول فالجميع يتفق على أن التوطين وسيلة لزيادة الوعي الديني للأسباب التالية :

١ - إن الاستقرار يناسب اكتساب المعرفة ، لأنها تتطلب الوقت الكافي لتلقيها .

٢ - الاستقرار يساعد على ممارسة الواجبات الدينية مع الجماعة ، عوضا عن الترحال الذي يشغل الإنسان عن ذلك ويعيشه في وحدة دائمة في أداء عباداته .

٣ - الاجتماع في مكان واحد وسيلة لتبادل الأفكار الدينية ، وهذا في حد ذاته يرفع الوعي الديني لدى الناس .

٤ - يعتبر التوطين وسيلة تقرب الإنسان من أماكن العبادة كالمسجد ، وفيها يتلقى المعارف الدينية من خلال توجيهات الإمام وخطبه .

٥ - يتيح التوطين للناس الاحتكاك والتفاعل مع الوعاظ والمطاوعة الذين يقومون بالتوعية الدينية .

٦ - يساعد التوطين على ارتفاع الوعي الثقافي للأسر البدوية ، لأن التوطين يتيح لهم الاختلاط بالأسر الأخرى ، فيكتسبون من ثقافتهم . وهذا بالتالي يخفف من غلو العصبية القبلية ، وينمي روح المشاركة الجماعية والتفكير بمصالح الأمة ، دون مصلحة القبيلة فقط والمبنية على العصبية العرقية .

٧ - عامة ثقافة المجتمع مرتبطة بالقيم الدينية للمجتمع ، فزيادة الوعي الثقافي أدت إلى رفع مستوى الوعي الديني ، حيث تم تبصير الناس بالعادات والتقاليد الحسنة ، وما كان منها يخالف الشرع ، إذ حث الوعاظ الناس على تجنبها ، كما تم ترسيخ العادات والتقاليد التي يؤكد عليها الدين الإسلامي الحنيف ، وأنها هي المنهج الذي يجب أن تجمع عليه الأمة .

٨- ومجمل ما سبق يعد تحقيقا لغايات الرعاية الاجتماعية ، حيث تحققت مساعدة الناس لأنفسهم بأنفسهم .

ثالثا : رأي عينة الإخباريين (الرواة) حول مساهمة التوطين في زيادة الوعي الديني والثقافي

إن الأمر الذي جعل التوطين وسيلة ناجحة في زيادة الوعي الديني يعود للأسباب

التالية من وجهة نظر الإخباريين الميدانيين ، الذين أفادوا بأن مسألة التوطين لها دور أساسي ومهم في العمليات التالية :

١ - ارتفع مستوى وعي أبناء الهجر ، حيث تمكن البدو الذين توطنوا من الالتحاق بمدارس تحفيظ القرآن (الحلقات التي تعقد بالمساجد) حيث كانوا يدرسون القرآن وتجويده وتفسيره ، والأحاديث الشريفة ، هذا ما نص عليه قول عموم الرواة . انتقل هذا الوعي بأهمية العلم إلى الأبناء ، فأصبح الآباء يحثون أبناءهم على الالتحاق بهذه الحلقات ، وبذلك ظهرت عندهم نخبة من القراء الذين يجيدون قراءة القرآن ، وبالتالي تبوأوا الإمامة للمساجد أو أكملوا تعليمهم في المدن الرئيسة كالرياض ، على يد العلماء الذين يلقون دروسهم بالجوامع وقد كلفهم الملك عبدالعزيز للقيام بدور المدارس العليا للتعليم .

٢ - أصبح الآباء على وعي جيد بشؤون التربية ، ولذلك هيأوا أبناءهم للاستقامة ، حيث عرفوا واجباتهم تجاه الله سبحانه وتعالى ، وبالتالي ارتبطت أعمالهم بتوجيهات الإسلام الحنيف .

٣ - أصبح الناس على قدر من المعرفة بشؤون حياتهم ، دون الذهاب إلى العلماء في المدن للاستفتاء في قضايا دينهم ودنياهم في كل صغيرة وكبيرة ، وتحصنوا من البدع والخرافات فلا تجد طريقا إلى نفوسهم .

٤ - أدى التوطين إلى اجتماع أبناء البادية من قبائل شتى إلى إمام واحد ليتعلموا قضاياهم الدينية ومعرفة الحلال والحرام ، وهذا مؤشر لتآلف القلوب لدى هذه العشائر التي كانت متطاحنة نتيجة النعرات القبلية .

٥ - أدى هذا التجمع إلى اختلاط أبناء البادية بالحضر واكتساب معرفة أهمية الصلاة جماعة ، وبذلك زاد التفاعل بين أبناء هاتين الفئتين المختلفتين في نمط المعيشة ، مما جعل أبناء البادية يكتسبون معارف جديدة تفيدهم في حياتهم العامة .

٦ - ظهر جيل من أبناء البادية في هجر التوطين أكثر وعيا من آبائهم ، خصوصا بعد تمكنهم من تعلم القرآن الكريم وآدابه .

٧ - تعد الخطب في صلوات الجمع لتبصير الناس بأمور دينهم ، فكانت عمليات توجيهية جماعية .

٨ - قامت فئة من العلماء كهيئات إرشاد دينية بوعظ أبناء البادية المجتمعين في الهجر، وذلك بإقامة ندوات وحلقات ذكر في الدين والتوجيه الإسلامي العام للسلوك .

٩ - إن استقرار العلماء بين أبناء البادية مكنهم من تشخيص المشاكل التي تسود أبناء الهجر على اختلاف أنماطها، وبذلك تمكنوا من نهج الأساليب الناجعة لتوعية الناس بأمور دينهم من مداخل يحبونها .

١٠ - تطلبت عملية التوطين تعيين علماء وفقهاء لفض المنازعات بين الناس، وبذلك خفّت الخلافات التي قد تسبب تباعد هذه العشائر عن بعضها .

١١ - نظرا لانشغال معظم أبناء الهجر بحرفهم الخاصة كالرعي ، فقد راعى العلماء هذه الظروف وأتاحوا لهم حلقات مناسبة لأوقات فراغهم ، وفي ذلك مرونة في التعليم .

١٢ - يجمع الإخباريون على أن دور العلماء في التعليم والنوعية الدينية لأبناءالهجر ساهم في القضاء على بعض العادات الموروثة كالسلب والنهب والثأر، والتي كان ينظر إليها كعنوان للشجاعة ، وأن القوة هي الحكم الفصل في فض المنازعات . وبعد أن ارتفع مستوى الوعي الديني والثقافي لدى أبناء البادية أصبح التحاكم إلى كتاب الله وأهل العلم هو الحكم الفصل . واندمجت الثقافات والأعراف الفرعية للقبائل إلى نسق ثقافي واحد داخل الهجر، وتحول حديثهم من الأمجاد القديمة إلى الحديث عن الدين والزراعة والتاريخ والسير الإسلامية .

وبناء على زيادة الوعي الديني والثقافي فقد نشأت مجموعة من الناس سموا أنفسهم بجماعة الإخوان، يحاربون البدع والخرافات السائدة آنذاك، ومنها التبرك ببعض الأشجار والتشاؤم من بعض الطيور . وهذه الجماعة ساعدت على نمو الولاية للقائد المسلم، فكانوا خير عون للملك عبدالعزيز في غزواته لتوحيد البلاد .

ومن ملامح ارتفاع الوعي الثقافي أن الناس أقبلوا على مراكز العلاج الصحي وابتعدوا عن الطب الشعبي والشعوذة، وكانت هذه العناصر التي تقدم رسالة الطب تعد عناصر جديدة ولها ثقافة من نوع آخر، وهذا أثر بالتالي على تطور ثقافة سكان الهجر .

ومن محاسن الهجر أنها أصبحت محطات إقامة للمسافرين وبالتالي ينقلون معهم ثقافات ومعارف أخرى تضيف بعدا ثقافيا للنسق المعرفي لأبناء الهجر .

ويضيف الإخباريون أن التوطين ساعد على تنازل أبناء البادية عن أعرافهم وتقاليدهم التي قد تكون نشازا في بعض الأحيان، وتأثروا بما يعلمهم به الوعاظ والمرشدون، حيث أصبحوا يميزون بين ماهو محمود وغير محمود، فأقبلوا على المحمود وتركوا خلافه على ضوء مداركهم الجديدة، لا ما تمليه عليهم أعرافهم السالفة وتقاليدهم القبلية، وهذه مرحلة تهيؤ لعملية التنمية الاجتماعية والاقتصادية المتوازنة.

التوطين ورفع المستوى التعليمي

أولا : رأي عينة الخبراء العرب حول إيجابية التوطين في رفع المستوى التعليمي

نسبة كبيرة من الخبراء العرب أشارت إلى أن التوطين يساعد على رفع المستوى التعليمي، لوجود البيئة المناسبة في حياة الاستقرار، ذلك لأن المسكن المستقر يسهل للطالب عملية الاستذكار واستغلال وقته في عملية التعلم ويساعد على ذلك أيضا:

١ - التراكم المعرفي الذي يكون موجودا بأماكن الاستقرار، لوجود الالتقاء بين ثقافات متعددة.

٢ - قيام عامل التفاعل والاحتكاك بين أبناء الهجر.

٣ - احترام الوقت، حيث أصبح يستغل في كل ماهو مفيد من تلقي علم وأداء عبادة.

٤ - إن التعلم يغير كثيرا من المفاهيم، حيث يعدل المتعلم بعض الأساليب التي يعيشها ليتأقلم مع الحياة الحضارية الجديدة.

وخلاصة القول فإن عينة الخبراء العرب قد أشارت مجملا إلى أن التوطين ساعد في عملية التعليم، والتعليم بالتالي ساعد في قبول عملية التوطين ونجاحها. كما رأوا أن التوطين أدى إلى تدرج مستوى التعليم وتنوعه.

ثانيا : رأي عينة الخبراء السعوديين حول إيجابية التوطين في رفع المستوى التعليمي

يرى الخبراء السعوديون أن التعليم في السابق يكاد يكون مقصورا على المناطق الحضرية، والمجتمعات الريفية، فيما عدا البادية نتيجة لحياتهم المتنقلة، ونظرتهم السلبية نحو التعليم الذي قد حرموا منه، ولكن بدءا من عملية التوطين، أدرك الملك عبدالعزيز

أهمية تعليم أبناء البادية ، فجعل بناء المساجد مصاحبا لبناء الهجر ، وجعلها أماكن للكتاتيب ليقوموا بالتعليم التقليدي لأبناء البادية . واستمرت هذه العملية إلى أن أنشئت المدارس النظامية ، وقد شجع جميع السكان على الإقبال على التعليم وذلك بتغيير نظرتهم الدونية نحوه ، وفي خلال سنوات قليلة ظهرت النتائج الإيجابية للتعليم ، حيث ارتقى كثير من أبناء البادية في سلم التعليم .

وخلاصة القول فإن جميع الخبراء يقررون أن الأسباب التي جعلت التوطين يساعد في رفع المستوى التعليمي تتلخص فيما يلي :

١ - الدروس التي تلقى بالمساجد بواسطة الوعاظ وأئمة المساجد .

٢ - الاستقرار في مكان واحد وترك الترحال أتاح لابن البادية التأثر المستمر بالفئات المتعلمة من أبناء الحاضرة .

ثالثا : رأي عينة الإخباريين (الرواة) حول إيجابية التوطين في رفع المستوى التعليمي

أفاد معظم الإخباريين أن التوطين قد ساعد على إتاحة الفرصة للكبار من رجال البادية للتعليم على يد الدعاة والعلماء ، بعد أن بينوا لهم فضل العلم ، حيث أوضحوا فوائد العلم لمستقبلهم ومستقبل أبنائهم ، وكان أول ما تعلمه أبناء البادية هو القرآن الكريم .

وكان وجود الوعاظ بين ظهراني أبناء الهجر جعل منهم قدوة للمتعلمين ، فكانوا بمثابة مدارس متنقلة ، يتعلم منهم ابن الهجرة الأخلاق الحميدة وحسن التعامل .

وقد أجمع الإخباريون على أن فضل تعليم أبناء البادية يعود فعلا للتوطين ، حيث كان البدو لا يقدرون التعليم مع حياة الشقاوة وشدة المعيشة .

ويعتبر التعليم بالهجر بمثابة التعليم الابتدائي أو التمهيدي ، حيث يتجه من ارتفع مستواه التعليمي منهم إلى المدينة ليدرس على أيدي علمائها ، أو في المدارس النظامية المتاحة ؛ هذه المرحلة كانت نواة للمدارس النظامية الحديثة .

وكانت الأماكن المهيأة لعملية التعليم هي المساجد المبنية بالهجر حيث يلتقي الطلاب بالمرشدين فيها بعد أداء الصلوات فيما يسمى بالحلقات التعليمية .

ولقد تغيرت وجهة نظر أبناء البادية حول التعليم ، إذ كانوا يعتقدون أن هذه هي مهنة

الحضر، وهم يستنقصون أولئك، وبعد التوطين آمنوا بأهمية وقيمة التعليم، وفي ذلك توطئة لنفوسهم لقبول التغير الذي يراد من وراء سياسة التوطين.

ومن الأمثلة الرائعة في هذا الصدد ما بينه أحد الرواة، حيث ذكر عن أبيه، أنه كان شابا متوقدا، توجد فيه سيما طالب العلم، وبعد أن قابله المقرئون الذين أوفدهم عبدالعزيز ابن سعود لتعليم أبناء الهجر، أصروا على هذا الشاب أن يذهب معهم إلى الرياض لتلقي العلم على أيدي العلماء الكبار، ومن هنا يتم تأهيله ليصبح مرشدا في هجرته، ومن أمثال هذه الرواية كثير. وذلك بمثابة التأهيل الجامعي لطلاب العلم والمعلمين.

هكذا من خلال العرض السابق تبين أن التوطين قد ساعد على تنمية المجتمعات البدوية من خلال رفع مستواهم التعليمي وتشجيعهم على الاستقرار.

التوطين والنمو الزراعي والرعوي

أولا: رأي عينة الخبراء العرب حول دور التوطين في النمو الزراعي والرعوي

أفاد الخبراء العرب الذين تمت مقابلتهم في ندوة ظفار بين الماضي والحاضر، والتي عقدت بمدينة صلالة، أفادوا أن التوطين لايؤثر مطلقا على النشاط الرعوي، وهو في الوقت نفسه يعد حيويا للحياة الزراعية، لأن المستوطنين سيعملون بحرفة الزراعة. وبما أن التوطين يعني الارتباط بالأرض، وعندما يرتبط الإنسان بالأرض سيرتبط بالزراعة، لأنها هي حرفة المتوطنين. ومن هنا تتسع الرقعة الزراعية، ومن ثم تعود الفائدة المادية على أهل الهجر، وهذا لايمنع الجمع بين الزراعة والرعي، فهما نشاطان متكاملان ويمكن الجمع بينهما حسب مواسم السنة ويحققان التنمية الاقتصادية الريفية.

ويقرر بعضهم أن التوطين لن يكون حيويا للزراعة مالم تكن مصادر المياه طبيعية، ويؤكد معظمهم على أن الأسباب التي توضح أهمية التوطين للزراعة والنشاط الرعوي تتمثل فيما يلي:

١ - التوطين يربط الإنسان بالأرض ويجعله يألفها وبالتالي يتعامل معها، ويسعى لاستغلالها.

٢ - ارتباط الإنسان بالأرض يجعله يستثمرها خير استثمار، ويستفيد من كنوزها.

٣ - يوجد تكامل بين النشاط الزراعي والرعوي، وذلك عن طريق إيجاد نشاط رعوي ربما يعتمد على النشاط الزراعي في إنتاجه، والواجب إيجاد توازن بين الاهتمام بالنشاط الرعوي والزراعي على حد سواء.

ثانيا : رأي عينة الخبراء السعوديين حول دور التوطين في النمو الزراعي والرعوي

يرى بعض الخبراء السعوديين أن التوطين يساعد على التنمية الزراعية بشكل عام، حيث المنح الزراعية التي أعطيت لأصحاب الهجر ممن لديهم رغبة في الزراعة، وبعد معايشة التجربة تغيرت وجهات نظر كثير من السكان فأقبلوا على الزراعة، أكثر من إقبالهم على النشاط الرعوي. ومن النماذج التي تؤكد على النمو الزراعي ظهور المشاريع الزراعية التالية :

١ - مشروع حرض للتوطين
٢ - مشروع وادي السهباء
٣ - مشروع حوض تبوك
٤ - مشروع وادي السرحان

ومما ساعد على نجاح التجربة الزراعية لأبناء الهجر أن الدولة قدمت الإرشادات الزراعية اللازمة، ومنحت قروضا زراعية تساعدهم على تحمل تكاليف الزراعة، وكذلك تم حفر مجموعة كبيرة من الآبار في مناطق جغرافية متفرقة، وهذا ساهم بدوره في زيادة نسبة الاتجاه نحو العمل الزراعي.

ويفيد بعض الخبراء أن البدوي رغم أنه كان ينظر إلى الارتباط بالأرض والإقامة الدائمة نظرة احتقار، إلا أنه بعد التوطين بدأ يزاول مهنة الزراعة وقد ساعد ذلك على توافر الأيدي العاملة ومن ثم اتسعت رقعة الزراعة ونمت الحياة الريفية.

ثالثا : رأي عينة الإخباريين (الرواة) حول دور التوطين في النمو الزراعي والرعوي

تبين من خلال استجابات الرواة أن استقرار البادية بالهجر أدى إلى اتساع الرقعة الزراعية، حيث اشتغل الأفراد بها، من منطلق روح التنافس وحب التملك، وكانت هذه

المنافسات هي الخطوة الأولى لظهور الشركات والجمعيات الزراعية الراهنة.

كما أوضحوا أن استصلاح الأراضي في بداية الأمر ليس لهدف تجاري وإنما لسد بعض احتياجاتهم من الناحية الغذائية، حسب ما تجود به الأرض من منتجات زراعية.

ويروي الإخباريون أن الزراعة لم تكن آنذاك عمليات عشوائية، وإنما كان هناك مرشدون زراعيون يوجهون الزراع في عمليات البذر والجني وخلافه، وقد جاء الملك عبدالعزيز بالمهندسين الزراعيين الذين كانوا يقدمون الاستشارات لأبناء البادية ممَنْ لديهم رغبة في الزراعة.

وقد بدأ هذا التحول بخطوات أولية، مثل استخدام السواقي بواسطة السواني لجلب الماء من الآبار، وهي تقنية في ذلك الوقت تعلو جلب الماء بالجهود الذاتية، والتي تعد محدودة في إنتاجها.

ومن خلال استعراض إجابة الرواة اتضح أنهم مجمعون على أن الملك عبدالعزيز أدرك أن الزراعة وسيلة ناجحة للتوطين، ولذلك استعان ببعض الشركات الأمريكية لتقوم بمسح شامل لأراضي المملكة الشاسعة، لكي يتم تحديد المناطق الصالحة للزراعة والقابلة للاستصلاح وفقا لما فيها من مقومات الحياة الزراعية، كجودة التربة وتوافر الماء. وبعد دراسة مستفيضة قدم الخبراء تقريرا مفصلا يتكون من مائة صفحة كل صفحة تعطي تفاؤلا أكثر من سابقتها، وقد استفاد الملك عبدالعزيز رحمه الله من هذا التقرير، ليتخذ خطوات عملية لتدعيم الزراعة في الهجر، لأنه لن يكون هناك نجاح للتوطين مالم يربط بالنمو الزراعي والرعوي.

ومن الشواهد الواضحة على ما تم ذكره آنفا ما ذكره أحد الإخباريين نصا: "كانت الزراعة معدومة قبل التوطين لأسباب عدة، منها أننا نجهل كيفية الزراعة وأصولها، ولعدم ثباتنا في مكان واحد أكثر من ثلاثة أشهر، وذلك على حسب خصوبة الأرض وجودة إنتاجها ولكن بعد التوطين تغير الوضع، حيث ثبتنا في مكان واحد، ورأينا أنه واجب علينا أن نتعلم أساليب الزراعة، وهو ما حصل فعلا، حيث أصبحنا الآن من المدن التي تشتهر بالزراعة، خصوصا زراعة القمح وغرس النخيل."[١٢]

(١٢) فيصل مقعد ضاوي العتيبي، منطقة الرياض، ساجر.

وقال راوية آخر: "لم نكن نزرع ولا نعرف كيفية الزراعة قبل عمليات التوطين، لأننا كنا بدو رحل، لانستمر في مكان واحد غالبا أكثر من أشهر قليلة، والزراعة عملية تحتاج عناية وملازمة، وبعد التوطين تعلمنا كيفية الزراعة وأصبحنا عارفين لها، وقد ساعدتنا على توفير مانحتاجه، بالإضافة إلى جني المال بسببها لتوفير الاحتياجات الأخرى." (١٣)

التوطين والتوسع العمراني والنمو التجاري

أولا: رأي عينة الخبراء العرب حول فعالية التوطين في التوسع العمراني والنمو التجاري

يؤكد معظم الخبراء أن التوطين هو أساس التوسع العمراني، إذ أن الاستقرار هو الباعث لأسباب العمران، والتوسع فيه، ويرافق هذا التوسع العمراني في الغالب ازدهار للنشاط التجاري، فحاجيات الإنسان المستقر واستهلاكه يزداد، مقارنة بغير المستقر.

كما أن التوطين يخلق تجمعات سكنية، وهذه التجمعات بدورها تكون نواة لمدن عصرية. ذلك لأن التوطين عملية استقرار، وكلما استقر الإنسان نال فرصة التعليم، وإذا ما ارتفع مستواه التعليمي زاد دخله المادي، وكلما ارتفع مستواه الاقتصادي انعكس على مستوى العمران بصفة عامة.

وخلاصة القول فإنه يتضح من خلال استعراض طروحات هؤلاء الخبراء أن العلاقة واضحة بين التوطين والتوسع العمراني والنمو التجاري، ذلك لأن التوطين في حقيقته هو الاستقرار، والاستقرار يؤدي إلى نمو النشاط العمراني، وبذلك تمتد الرقعة العمرانية، مما قد يؤدي إلى نشوء مدن جديدة كانت في الأصل هجر صغيرة، وهذا مظهر من مظاهر التحضر.

ثانيا: رأي عينة الخبراء السعوديين حول فعالية التوطين في التوسع العمراني والنمو التجاري

يرى الخبراء السعوديون أن التوطين ساعد على التوسع العمراني، فكثير من أبناء

---

(١٣) عبدالله مناحي العتيبي، منطقة الرياض، ساجر.

البادية الذين استقروا في الهجر زاد عددهم، وبالتالي زاد عدد المباني، وبذلك زاد النمو الحضري، وكثير من المناطق الريفية والحضرية زادت مساحاتها، وزاد عدد سكانها بسبب التوطين، وكثير من الهجر هي في الأساس نتاج لعملية التوطين، كما أن الغالبية من أبناء البادية حينما يستقرون في القرى أو المدن فإن نمط مسكنهم يتغير تبعا لذلك، فقد كانوا يسكنون بيوت الشعر ومن ثم تغير إلى النمط القروي والحضري، حيث بيت الطين، ثم البيت الشعبي المبني من الأسمنت والمسقوف بالخشب، ثم النمط الحديث حيث الفيلا (بيت الأسمنت المسلح)، وساعد على هذا النمو العمراني منح الأراضي من قبل الدولة بالمجان لذوي الدخل المحدود، وقروض صندوق التنمية العقاري لعموم المواطنين على اتساع المملكة.

ويرى آخرون أن عملية التوطين أضافت مستوطنات جديدة فكثر عدد المجمعات السكنية حيث وصل عددها في عهد الملك عبدالعزيز إلى أكثر من ١٥٠ هجرة. كما أثر التوطين على نمو المدن حيث زادت الرقعة العمرانية في المدن والقرى التي استوطن بها أبناء البادية، ومن مظاهر التوسع العمراني زيادة عدد المساجد في الهجر لتستوعب المصلين الذين زاد عددهم أيضا.

أما من ناحية التوسع التجاري فقد أفاد معظم الخبراء أن التوطين ساعد على زيادة العاملين في المجال التجاري، كما أدى التوطين إلى زيادة عدد المستهلكين، وبالتالي أدى ذلك إلى نمو النشاط التجاري حيث أحضرت بضائع كثيرة لسد حاجة العدد المتزايد في الهجر.

والواقع أن عموم الخبراء يقررون أنه قبل عملية التوطين كانت التجارة تكاد تقتصر على سكان المناطق الحضرية، وقليل من المناطق الريفية. وكان النشاط الاقتصادي الرئيس لأبناء البادية هو الرعي، ولكن عملية التوطين ساعدت كثيرا من أبناء البادية على الدخول في مجالات اقتصادية أخرى، حيث زاد عدد المشتغلين منهم بالتجارة، حيث كانت في البداية تتمثل في بيع المواشي في الأسواق التجارية بالمدن، وبعد ذلك تنوع النشاط التجاري فشمل بيع المنتجات الزراعية ممن مارسوا مهنة الزراعة.

ثالثا : رأي عينة الإخباريين (الرواة) حول فعالية التوطين في التوسع العمراني والنمو التجاري

أوضح الإخباريون أن الهجر توسعت بشكل لافت للنظر خاصة بعد توافر الماء والموقع المناسب لتجمع أبناء البادية حسب مواطنهم الأصلية . ومن الأمور التي ساعدت على اتساع العمران في الهجر أن العوائل بدأت تتقارب في سكناها فأخذ كل رب أسرة ينشئ سكنا لأسرته قرب ذويه، وساعد ذلك على زيادة حجم الهجر .

كما يذكرون أن الاهتمام ببناء المساجد قد ساعد على تكاثر المساكن، خاصة حول المساجد، وكل منطقة من الهجر شيد فيها مسجد، وقد أخذت المساكن تتزاحم حوله . كما ساعد أيضا على ازدهار العمران أن الدولة تمنح الأراضي لمن أراد أن يسكن دون مقابل، مما شجع الناس على أن يملكوا أرضا لمجرد أن يعمروا عليها منزلا . ولأن التوطين عملية جديدة بالنسبة للبدو فإن بعضهم قبلها على استحياء، وأراد أن يسبر أغوارها فحل بخيمته في الهجرة بجوار قريبه الذي ابتنى منزلا من اللبن والطين . وبعد أن رأى التفاوت بين معيشته في الخيمة ومعيشة قريبه في المنزل من حيث اتقاء الحرارة والبرد، ارتفع عنده مستوى القبول لهذه النقلة الحضارية في التغير الاجتماعي المادي .

كما يرجعون النمو العمراني في بدايته إلى عدم التكلف في التخطيط، إذ يقيم البدوي منزله دون أن يقيد بمسافة معينة أو اتجاه معين، فأخذ طابع العمران في هذه الهجر طابع العلاقات الاجتماعية بين الأفراد، فنجده يقرب حول من يحب ويبعد عمن يكره، وربما اتجه بمنزله الاتجاه الذي يريده، طبقا لوحي العلاقات الاجتماعية مع الآخرين .

كما تذكر نسبة كبيرة من الإخباريين أن من ملامح التطور العمراني أن أبناء الهجر استفادوا من الطراز العمراني في المدن، فأخذوا بعضها كاستخدام مادة الجبس ، وهي تنتج محليا، حيث أدرك أولئك كيفية استخدام هذه المادة وبطريقة سهلة جدا لاتتعدى مجهوداتهم الذاتية، ويستخدمون هذه المادة لتزيين جدران المجالس وأماكن المعاميل (الوجار) .

كما يفيد معظم الإخباريين أن النمو العمراني في الهجر كان خطوة عملية إلى النهضة العمرانية الشاملة، حيث ترتب على النمو العمراني في تلك الهجر التغيرات الحضارية التالية :

١ - نشأت مدن حديثة ارتفع مستوى العمران فيها، بعد أن كانت هجر صغيرة في حجمها وعدد سكانها .

٢ - نمت المدن الكبرى وتوسعت توسعا عمرانيا ملحوظا أعجزت سرعته تتابع الخدمات العامة.

٣ - زاد عدد القرى نتيجة المحاكاة بين القبائل والعشائر، وظهرت روح المنافسة في الفن المعماري، حيث بدأ التنافس في طول الجدران وارتفاع السقوف.

ويجمع الإخباريون على أن التوطين كان سببا جوهريا للتوسع التجاري، حيث تعلم الناس البيع والشراء وجميع المبادلات والمقايضات التجارية بما لديهم من إنتاج حيواني.

ومما دعم النمو التجاري توافد أفراد البادية القريبين من هذه الهجر إليها للبيع فيها والشراء من سلعها، فكان في ذلك حركة تجارية متميزة. وبهذا الوضع أصبحت الهجر مناطق جذب للبدو غير المستقرين لبيع مالديهم من سمن وأقط وماشية ومنتجات صوفية.

ومن مظاهر النمو التجاري، ما ذكره أحد الرواة، أنه يعرف بعض أبناء البادية الذين بدلوا مهنتهم القديمة المتمثلة في الرعي إلى مهنة التجارة كالبيع والشراء، لدرجة أنهم أصبحوا يملكون أسواقا مركزية بمفهومهم آنذاك، فأخذوا يتعاملون مع أبناء البادية الوافدين لهذه الهجر في بساطة تامة في التعامل التجاري، حيث يعطون البدو فرصة للسداد عند بيعهم إنتاج حيواناتهم بعد الربيع القادم وهذا من منطلق الثقة، ومن دون اتخاذ إجراءات رسمية، ولعل هذا قد شجع على نمو الحركة التجارية.

هكذا نرى كيف تحول أولئك الناس من بدو رحل يكتفون بما يسد حياتهم البسيطة من خفيف الزاد، الذي لايشكل عبئا على دوابهم أثناء الترحال، وقد تحولوا إلى مدخرين للبضائع وكل ما يحتاجونه من مأكل ومشرب على مدار السنة. بالإضافة إلى ذلك أدى التوطين إلى ارتفاع معدل الشراء والبيع، ومن ثم زاد النمو التجاري وأصبح مظهرا من مظاهر حياة أبناء الهجر، وبذلك تحقق الهدف الإنمائي لطريقة تنظيم المجتمع.

التوطين عملية استراتيجية لتوحيد البلاد

أولا : رأي عينة الخبراء العرب حول أهمية التوطين لتوحيد البلاد

حول نجاح التوطين في توحيد البلاد فإن خبيرا عربيا ذكر تجربة العراق، حيث يرى أن البدو استوطنوا في المحافظات الجنوبية منذ سنوات، وقد أصبحوا جزءا لايمكن فصله

عن المجتمع المدني، وقد استغرق ذلك سنوات كثيرة وجهدا بالغا، لأن السلوك البشري ليس من السهولة تغييره.[١٤]

وعموم الخبراء يرون أن كل بلد عربي له ظروفه الخاصة التي تختلف عن بقية الأقطار الأخرى، ولكن بشكل عام فإن حياة الاستقرار أساسية لإيجاد مجتمع متماسك، هذا المجتمع هو الذي تقوم عليه الدولة وتتوحد به أجزاؤها. ذلك لأن التوطين يحقق الأهداف السياسية والاقتصادية للأمة، وقد نجح في معظم الدول التي طبقته، وهو من المؤشرات المهمة لسياسة الدولة الناجحة تجاه شعبها لتحقيق مستقبله المأمول، وقد استفادت الدولة العبرية من هذا النموذج للرقي بمجتمعها واستقطابه من جميع دول العالم.

كما يؤكدون على أن التوطين حل إشكاليات الحدود والقبائل المتجولة بين الدول، حيث أصبح هناك انتمائية لهذه القبائل، بالإضافة إلى منع التجارة غير المشروعة.

ومن مساهمات التوطين في خلق الاستقرار ومد سيادة الدولة كما يقرره بعض الخبراء العرب، أنه في شمال العراق قضي على حرب العصابات المنتشرة، حيث أدى تجمع الناس في مستوطنات تشرف عليها أجهزة الدولة إلى التآلف ووحدة الولاء، وبهذا قضي على مثل هذا التزعزع في عملية الاستقرار.[١٥]

ثانيا: رأي عينة الخبراء السعوديين حول أهمية التوطين لتوحيد البلاد

يرى بعض الخبراء السعوديين أن التوطين قد ساعد على إبعاد غلواء العصبية القبلية، ونمو الشعور لتحقيق مصالح الأمة، فتغير العصبية القبلية ونمو الشعور لتحقيق مصالح الأمة مؤشران لتوحد الناس في اتجاه واحد، حيث تغيرت النظرة بعد التوطين من الإحساس بمصالح القبيلة إلى الإحساس بمصالح الأمة، وقد ساعد ذلك على نمو الشعور بأهمية وحدة البلاد، كما أن اشتراك مجموعة من البادية الذين خضعوا لعملية التوطين في جيش الملك عبدالعزيز يدل على أن التوطين كان خطوة عملية في توحيد البلاد. لقد كان المجتمع قبل التوحيد مجرد إمارات صغيرة، وقبائل متناثرة في كل اتجاهات المساحة الجغرافية

---

(١٤) د. صباح أحمد جمال الدين، عراقي الجنسية، حاليا خبير في وزارة الصحة العمانية.

(١٥) أ. د. محمد جاسم المشهداني، الأمين العام لاتحاد المؤرخين العرب، جامعة بغداد، مشروع تجربة الاستيطان في شمال العراق، ١٩٩١م.

الكبيرة، وكان الولاء فقط للقبيلة أو لأمير القرية في الإقليم مع وجود النزاعات المتعددة بين القبائل وبعضها، وبين القبائل والحضر، وبين أهل الأرياف أنفسهم. وقد ساعد التوطين في القضاء على عوامل التفكك في المجتمع، وساعد على توحيد الولاء للوطن بدلا من الولاء القبلي أو الإقليمي، وتتلخص أهمية التوطين لتوحيد البلاد على حد رأي الخبراء السعوديين في النقاط التالية:

١ - كان ولاء البدو الرحل في الماضي لشيوخهم وقبيلتهم، وبعد التوطين تحول ولاؤهم للدولة ولجماعة الإخوان.

٢ - شكلت بعض الجيوش من المستوطنين في الهجر التي ساهمت في توحيد البلاد، عبر الفتوحات المتعددة.

٣ - قامت جماعة الإخوان بدور مهم في توحيد البلاد، حيث ساهموا في ضم حائل وعسير والحجاز وغيرها إلى حظيرة الأمة الكبرى.

٤ - ساعد التوطين على تجمع الناس، ومدت الدولة يد المساعدة لهذه القبائل لتخفيف الأزمات التي كثيرا ما تمر بها، نتيجة الجفاف وندرة المياه في بعض فصول السنة، وساعد ذلك على بسط سلطة الدولة على هذه القبائل المتجولة.

٥ - دعم التوطين نفوذ السلطة الإدارية، بحيث أصبح سلوك الناس محكوما من قبل الحكومة، وبذلك انتهت مشكلة الأخذ بالثأر والحنشلة، وأصبحت كل قضية تأخذ طريقها إلى الدولة ليتم البت فيها بصفة رسمية وشرعية.

ثالثا: رأي عينة الإخباريين (الرواة) حول أهمية التوطين في توحيد البلاد

أجمع الإخباريون على أن التوطين قد ساعد على تغيير المفاهيم الساذجة قبل التوطين مثل التعصب القبلي، الذي يساهم في تفكك المجتمع، حيث كان كل ينتخي بعصبيته، وتلك من الأفكار والمذاهب التي تضعف الترابط بين عناصر المجتمع.

كما قرروا أن التوطين عملية قرّبت القبائل والعشائر بعضها من بعض، بينما كانت لها مواطن خاصة وحمى معروف، وبعد التوطين سادت روح الأخوة الواحدة بينهم، وأصبح من السهل الإشراف عليهم من قبل السلطة، وبذلك توحدت ثقافتهم، وتآلفت قلوبهم.

وأجمع الإخباريون أيضا على أن التوطين ساهم في توطيد الاستقرار، حيث ارتبطت تلك الهجر مع بعضها البعض، على مستوى المناطق (المقاطعات) أو داخل المقاطعة نفسها. ولقد ألف الناس بعضهم بعضا، حيث ارتبط مصير كل منهم بالآخر، وسادت العمليات الاجتماعية التالية: التعاون، والتكاتف، والمصاهرة، ومن هنا توحدت هذه الهجر داخل المقاطعات، ثم توحدت هذه المقاطعات بعضها مع البعض، وبذلك تجلى مفهوم التوحيد، الذي كان التوطين من خطواته الأولى، حيث أصبحت البلاد وحدة سكانية متجانسة، هدفها واحد، ومعتقدها واحد.

وذكر الرواة أن لكل هجرة منصوبا، ولكل قبيلة شيخا أو أميرا، يقوم بمهام الإشراف على قبيلته، وهو مسؤول عما يحدث في قبيلته، ويعتبر مرجعا للدولة في كل الأمور التي تتعلق بشؤون القبيلة، وقد سهّل ذلك عملية توحيد البلاد.

وقرر معظم الإخباريين أن التوطين خطوة إلى التوحيد لأنه أدى إلى:

١ - اجتماع رجال البادية في مكان محدد، وبذلك سهلت الرقابة عليهم وتوجيههم إلى مايراد منهم، وبذلك يتم اقتفاء أثر من يحاول أن يعكر صفو هذا الاجتماع.

٢ - ساهم معظم سكان الهجر في القتال والجهاد مع الملك عبدالعزيز لتوحيد البلاد.

٣ - كان للوعي الديني لرجال البادية، الذي تلقوه في الهجر دور في نسيانهم الماضي الذي يذكرهم بنزاعاتهم القبلية وحروبهم من منطلق أخذ الثأر، وبذلك يحصل التنافر الذي يقلل من وحدتهم. كما أن لنجاح التوطين دورا أساسيا في دعم التنمية الاجتماعية والاقتصادية التي عمت خيراتها البلاد فيما بعد.

٤ - ساعد التوطين على إحلال الأمن ومعرفة الحقوق والواجبات لكل شخص.

٥ - ساهم التوطين في لمّ شمل الناس، وشكلت القبائل قوة لايستهان بها، ساهمت في عملية توطيد أركان الحكم، والتوحيد الشامل تحت مسمى المملكة العربية السعودية.

٦ - سهل التوطين حصول الناس على الخدمات العامة، وأتاح لهم فرصة المشاركة في اتخاذ القرار، وهو أحد مبادئ طريقة تنظيم المجتمع الذي يحقق العون الذاتي لعناصر المجتمع.

ومن منطلق نظريات التنمية الاقتصادية، فإن إحصاء السكان أمر مهم وضروري

لإتاحة الإعداد للبرامج التي تخدمهم، ولم تغب هذه الاتجاهات العلمية عن الملك عبدالعزيز ، إذ استفاد من التوطين لتحقيق العملية الإحصائية . وعلى ضوء ذلك استطاع تحديد القادرين على القتال ، وما مدى حاجتهم من الوعاظ ، والأئمة، وماهو حجم الاستهلاك الذي على ضوئه ترسل الإعانات من قبل الحكومة . وهذا خلاف ما كان عليه الوضع في السابق، إذ كان البدوي مجهول العنوان، حيث يتنقل حسب المواسم، ولا يمكن السيطرة عليه ، ولهذا فإنه يعيش بدون هوية، ومن الصعوبة بمكان تقديم ما يحتاجه من الخدمات لعدم استقراره . كما ساهم التوطين في الإقلال من التمرد لرجال البادية، حيث ربطوا بمكان يصعب عليهم مغادرته، وبذلك سهلت عملية الوصول إليهم عند الحاجة، ومن هنا استتب الأمن والأمان .

ويقرر الرواة أنه قبل توحيد البلاد كانت هناك حالة من الفوضى وعدم الاستقرار، حيث الحروب القبلية التي تعصف بمستقبل القبائل، ولكن بفضل من الله عز وجل ثم نجاح عمليات التوطين ومن ثم التوحيد، فقد زالت هذه الخلافات وعم الاستقرار والأمن بهذه البلاد، وتحققت أهداف التنمية الاجتماعية والاقتصادية المتوازنة .

التوطين و اطراد النمو الحضري للمجتمع السعودي

أولا : رأي عينة الخبراء العرب حول أهمية التوطين لاطراد النمو الحضري

يقرر بعض الخبراء العرب أن التوطين يعد مظهرا حضاريا إلا أنه يجب اتباع خطوات التوطين بشكل متدرج، ولابد أن يرافق هذه الخطوات برامج توعية تشرح إيجابيات التوطين ومردوده على المواطنين والوحدة الوطنية .

وبما أن ارتفاع نسبة السكان يعد مظهرا من مظاهر النمو الحضاري ، فإن التوطين يحقق هذا المؤشر الإيجابي ، وبذلك تستطيع الدولة أن تقيم توازنا في توزيع الخدمات ، وهو ما يسفر عن نمو حضري واضح على المستويين المادي والمعنوي .

وبين الخبراء أن من الدلائل التي تثبت أهمية التوطين لاطراد النمو الحضري، أن القبائل الرعوية تعتبر مجتمعات غير متحضرة بسبب عدم الاستقرار، ولعدم توافر الخدمات الاجتماعية، والرعاية الصحية، ووسائل التعليم، وتوافر هذه الخدمات يرقى بالحياة

الاجتماعية والمعيشية إلى مستوى حضاري عال، ولكن بعد تحول هذه القبائل إلى مجتمعات مستقرة، أخذت طابع التحضر تدريجيا.

وتجمع عينة الخبراء على أن عمليات التوطين ساهمت في رفع المستوى التعليمي لأبناء وبنات الهجر، حيث تحسن مستواهم التعليمي، وساهم كثير منهم في إنجاح الزراعة بأساليب علمية حديثة، وأصبحوا تحت سمع وإشراف السلطة السياسية، للقيام بوظائف الإدارة وعمليات الضبط الاجتماعي، وكل هذه مؤشرات للتحضر.

ثانيا : رأي عينة الخبراء السعوديين حول أهمية التوطين لاطراد النمو الحضري

ترى عينة الخبراء السعوديين أن النمو الحضري الراهن يعتبر اطرادا لعمليات التوطين، حيث أدرك أهل البادية أهمية التوطين لحياتهم المعيشية واستقرارهم الاجتماعي. وأوضحوا أن النمو الحضري الراهن عملية واسعة ومعقدة، تنتج عن عوامل وروافد كثيرة، وما التوطين إلا رافدا واحدا منها، ذلك لأنه قد صاحب التوطين التوسع في الخدمات لازدياد احتياجات السكان، وتوفير هذه الاحتياجات يمثل جوانب التنمية الاقتصادية والاجتماعية، والتي استمرت حتى أحدثت نموا حضاريا كبيرا في كثير من أنحاء المجتمع العربي السعودي؛ حيث إن الكثير من المناطق (المدن والقرى) تضاعف عدد سكانها عدة مرات وكذلك تضاعفت مساحتها الجغرافية.

ثالثا : رأي عينة الإخباريين (الرواة) حول أهمية التوطين لاطراد النمو الحضري

يجمع الرواة على أن تحول معظم الهجر من كونها قرى صغيرة إلى مدن متوسطة النمو، إنما يعود إلى العناية التي وجهت لهذه القرى، واكتمال المرافق فيها، ذلك لأن التوطين ماهو إلا مرحلة مبكرة للنمو الحضري، الذي يلحق به. كما أفاد معظم الإخباريين أن عملية التوطين تتناسب تناسبا طرديا مع النمو الحضاري، فكلما كان هناك اهتمام بعمليات التوطين، كان هناك نمو حضاري مرتقب، لأن العمران يزداد وتتسع رقعته وهو أحد مؤشرات النمو الحضري.

كما يؤكدون على أن التوطين مكن أبناء البادية من التعلم والعمل وهذا انعكس بالتالي

على مستوى معيشتهم، وذلك نوع من النمو الحضاري المعنوي، حيث التألق في المأكل والمشرب والهندام. والواقع أن التوطين يعني الاستقرار، والاستقرار يعني إمكانية تقبل الثقافة وتلقي كل جديد، لوجود الوقت المتاح والاستعداد التام لدى أبناء البادية المتوطنين. كما ساعد التوطين رجال البادية على بعث أبنائهم للتعليم، ونالوا نصيبهم من التعلم، وكانت خطوة أولى في النمو الحضري الراهن. ولاشك في أن الثروة البترولية والمعدنية ساهمت في اطراد النمو الحضري، ولكن يبقى الإنسان هو المدبر لهذا النمو، وقد استطاع أن يقوم بدوره لتحريك هذا النمو بعد أن تم تأهيله، وهو ما حصل لأبناء البادية الذين توطنوا، حيث أتيحت لهم فرص التعليم، وانضموا إلى ميادين الأعمال المختلفة في القطاع العام والقطاع الخاص المتعددة اهتماماتها.

كما يرون أن التجمع في حد ذاته سبب في تبادل الخبرات والمهارات وهو ما يعكسه التوطين، حيث تجمع أبناء البادية، وأصبحت لهم فرصة الاتصال بأبناء الحضر الذين رفعوا من مستوى ثقافتهم.

ويفيد بعض الإخباريين الميدانيين أن التوطين عملية تساعد على التطور والنمو الحضاري، إذ أن الإنسان المستقر تزداد ثقافته، لإمكانية الوقت المتاح لديه، ولكن الأمر يتطلب عملية التكيف مسبقا، وهو الأمر الذي حرص عليه الملك عبدالعزيز حينما نظر عمليات التوطين.

وفي مجمل الاستبانات التي تمت تعبئتها كان الرأي مستقرا لدى الإخباريين على أن الجيل الذي تلى عملية التوطين - وهم الذين ولدوا في أحضان الهجر - قد عايشوا نمط حياة جديد، فأصبحوا يقدرون أهمية التعليم والأساليب الصحية في المأكل والمشرب والملبس، ومن هنا فإنه ليس في مقدورهم العودة إلى الحياة القديمة المتمثلة في التنقل والترحال، وهذا في حد ذاته يكون دافعا للأجيال إلى الأمام في طريقهم للتحضر.

وهناك من أشار إلى أن التوطين هو خطوة أساسية للنمو الحضري، فيقول: لو أن التوطين نفذ قبل سنين طويلة، لكان نمونا الحضاري أفضل مما نحن عليه الآن.

ولعل اتساع العمران الذي صاحب التوطين هو من مظاهر النمو الحضري، الذي استمر قدما حتى أصبح يشكل مظهرا ناطقا للحضارة الحديثة.

ويفيد بعض الإخباريين بالأمر الذي يؤكد أهمية التوطين لاطراد النمو الحضري، إذ يعود إلى أن أبناء الهجر الذين رحلوا إلى المدن للبحث عن فرص العمل، وأدى ذلك إلى زيادة الإنتاج بالمدينة لتوافر الأيدي العاملة، كما زادت نسبة الهجرة الداخلية، وأصبحت الحواضر مراكز جذب لأبناء الهجر لتوافر فرص العمل. ومن خلال الاحتكاك بين أبناء الهجر - البدو - وأبناء الحاضرة امتزجت كثير من الثقافات الحضارية.

ويضيف بعضهم وجهة نظر علمية منطقية ترتبط بعلاقة التوطين بالنمو الحضري، فيقولون إن النمو الحضاري الراهن نتيجة حتمية للتوطين، إذ أنه لايمكن أن يكون هناك إنتاج إلا لوجود فكر، ولا يكون هناك فكر إلا بوجود تعليم، ولن يكون هناك تعليم ناجح إلا لوجود توطين، وهكذا نجد أن النمو الحضري الراهن يعتبر اطرادا لعمليات التوطين. وتسمى هذه العملية في ضوء الرعاية الاجتماعية مرحلة الانطلاق للتنمية الاجتماعية وهي تتحقق من خلال الأسلوب الإنمائي لطريقة تنظيم المجتمع.

فعالية التوطين في العملية التنموية المعاصرة

أولا : رأي عينة الخبراء السعوديين حول استمرار فعالية التوطين في العملية التنموية المعاصرة

يرى الخبراء أن التوطين مازال مستمرا في النهضة المعاصرة للمجتمع السعودي، حيث ظهرت قرى جديدة وتم افتتاح مراكز حكومية بهذه القرى، بالإضافة إلى المرافق الأخرى مثل المدارس والمستوصفات. كذلك استمرارية البرامج التنموية التي تتبناها طريقة تنظيم المجتمع في شكل مراكز تنمية ومجمعات قروية تعتبر من مظاهر استمرارية التوطين في النهضة المعاصرة. ومن هذه البرامج: منح الأراضي البور للزراعة، وكذلك الأراضي السكنية لفئات كثيرة من السكان، وظهور ضواحٍ كثيرة على ضفاف المدن، ومن مظاهر تلك الهجرات الداخلية انتقال كثير من أبناء القرى والهجر إلى المدينة بسبب الدراسة أو الفرص الوظيفية.

ومن الدلائل المادية على فعالية التوطين في النهضة المعاصرة ما يلي:

١ - تحول العديد من الهجر إلى مدن صغيرة تزخر بالسكان والحركة التجارية مثل

مدينة ساجر والحناكية.

٢ - استمرار ظهور هجر جديدة وازدياد تحول البدو الرحل إلى متحضرين.

٣ - ندرة القبائل الرحل في الوقت الحاضر، وقد ثبت ذلك أثناء إجراء البحث الميداني "غلاء المهور وتكاليف الزواج" الذي أجري عام ١٤٠٤هـ بجامعة الملك سعود، إذ لم يتمكن الباحثون من مقابلة عينة كافية من البدو الرحل، لندرة أولئك في منطقة نجد.

ثانيا: رأي عينة الإخباريين (الرواة) حول استمرار فعالية التوطين في العملية التنموية المعاصرة

أفاد الإخباريون أن الأمر الذي أدى إلى توطيد الاستقرار السياسي يتمثل في ربط الملك عبدالعزيز لعشائر البدو المتجولين بالأرض، حيث حدد لهم هجرا خاصة، وأصبح لهم تملك خاص، ساعد على ارتياحهم بهذه الهجر، فأدى هذا إلى استقرار إيكولوجي وروحي وسياسي. وساعد على تثبيت الاستقرار السياسي أيضا قبول الملك عبدالعزيز بمبدأ الشورى لأنها مبدأ إسلامي مهم في الحكم وإدارة شؤون الرعية، وخير مثال لذلك، حينما قبل شرط أهل مكة لما طلبوا منه الإبقاء على مجلسهم للشورى، فساعد ذلك على إطفاء المشاحنات وفض المنازعات.

ويؤكد الإخباريون على أهمية الثقافة في إيجاد الاستقرار حيث سارع المؤسس إلى تنوير أذهان الناس ومفاهيمهم، لكي لاتكون نهبا للأفكار المضادة ومن ثم إيجاد التجانس بين عناصر الثقافة، ذلك لأن الثقافة بصفة عامة تتضمن ثلاثة عناصر رئيسة:

١ - عموميات: اللغة، الدين، الأعراف، القيم.

٢ - خصوصيات: اللهجات، العادات، التقاليد.

٣ - البدائل: وهي ثقافة مستوردة نتيجة للتماس بين ثقافات مختلفة.

وقد أدرك الملك عبد العزيز أهمية الثقافة في تكوين التجانس بين عناصر المجتمع، ذلك لأن وحدة المجتمع قد تصعب مع تعدد الثقافات وتمايزها، ولذلك عمل الملك جاهدا على تعميم الثقافة بحيث يصبح للمجتمع ثقافة واحدة متميزة، تجعل الفرد لايحس بالاغتراب حينما يعيش في إقليم آخر، حيث أصبح يتعامل مع الآخرين من خلال مفاهيم ثقافية متجانسة.

ويفيد الإخباريون أن المؤشر الدال على أن التوطين يعتبر أحد استراتيجيات التنمية الاقتصادية والاجتماعية المعاصرة، أن أبناء الملك عبدالعزيز ساعدوا على تدعيم ونمو الهجر وذلك بالقروض الزراعية وقروض بنك التنمية العقاري لنفس الهجر، حتى لايتركها أهلها، ولكي تساير نمو الحواضر بالمملكة العربية السعودية. ومن أمثلة ذلك أن الملك خالد يرحمه الله دعم موقف أهل هجرة الغطغط حينما أرادوا منحا لبناء مساكن لهم في هجرتهم، رغم قلة مصادر الماء هناك.

ونسبة كبيرة من الإخباريين بينت صورة جديدة في الوقت الحاضر. حيث أتيحت الفرصة لكل من أراد المشيخة أن يجمع أربعين اسما فأكثر ويحصل بذلك على قروض في هجرة خاصة به، مع ضمان توصيل جميع الخدمات، فظهور الضواحي وهي أحياء جديدة على ضفاف المدن الكبيرة ما هو إلا استمرار لعملية التوطين، ولكن بأسلوب جديد مخطط في ضوء أساليب الرعاية الاجتماعية وسياساتها التنموية. كما أن بعض الهجر احتوتها المدن بعد التمدد العمراني مثل حي السعودية بالخرج، والذي كان يعد هجرة صغيرة قديمة، ولكنه الآن يعتبر حيا من أحياء مدينة الخرج.

ومن ملامح التوطين الحديث كما يبينه الرواة، أن أبناء الهجر أخذوا يطمحون إلى رفع مستوى صحتهم، والمعيشة الراقية والتعليم العالي، مما حدى بهم إلى الاتجاه نحو المدن للحصول على هذه المتطلبات التي أصبحت تشكل ضرورة لمعيشتهم، بالإضافة إلى أن الزراعة أصبحت عملية تجارية مشجعة، خاصة زراعة الحبوب، حيث تدفع الدولة مساعدة مقابل الإنتاج، إذ تشتري منهم جميع محاصيلهم بأسعار مغرية، ولعل ذلك نشّط عملية الزراعة والاهتمام بغرس النخيل، التي أصبحت هي الأخرى مصدرا للتجارة، لما عرف من إقبال الناس على أكل التمور في جميع المناسبات. هذه العمليات التنموية رفعت من مستوى المعيشة وتحسن الظروف الاجتماعية لجميع المواطنين في الريف والحضر.

ملخص الدراسة

نظرا لأن مجتمع الجزيرة العربية مجتمع تغلب عليه حياة البداوة والترحال، حيث يستقرون في شهور قليلة على ما يسمى بالمنادي، إذ تحكمهم في تنقلاتهم مواطن الكلأ

والرعي، ولأن طموح الملك عبدالعزيز ليس استرجاع الأرض فقط، وإنما إنشاء دولة عصرية حضارية، فإنه بالتالي يحتاج إلى تحضير هؤلاء السكان ولذلك كانت تراوده فكرة توطين البدو منذ تأسيس الدولة، حتى يستفيدوا من برامج الخدمات العامة، والتوعية الدينية، والتعليم النظامي، وليصبحوا قوة عسكرية تدافع عن حمى هذه الدولة الناشئة، لأنهم أكثر تقبلاً للاغتراب من الحضر ولديهم قوة التحمل والصبر والشجاعة وهي أمور يتطلبها الجهاد في سبيل الله.

وتتلخص العوامل التي دفعت الملك عبدالعزيز لتوطين البدو وتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية المتوازنة فيما يلي:

١ - العامل الاقتصادي، إذ أسهم توطين البدو في توسيع الرقعة الزراعية، وعلى أساس ذلك نمت حركة التجارة المحلية، وارتفع مستوى المعيشة، وساد النشاط الاجتماعي المنظم في شكل جمعيات تعاونية وأخرى اجتماعية.

٢ - العامل العسكري، نظرا لأن الملك عبدالعزيز في بداية تأسيس دولته العصرية، فإنه يحتاج إلى جند أشداء يساعدونه على بناء هذا الكيان من خلال الفتوحات، والغزوات المتعددة، وقد يكون البدو هم المؤهلين لهذه المهمات. وقد تخرج من أبناء الهجر آلاف المقاتلين الذين أطلق عليهم تسمية الإخوان، ويشكلون قوة عسكرية ضاربة، ساعدت الملك عبدالعزيز في توحيد البلاد.

٣ - تنمية روح الوطنية والانتماء، ولغرس هذه السمة في عناصر البادية، جاءت فكرة التوطين، لأنها عملية مهمة لربط البدوي بالأرض، ومنها يكتسب البدوي حب التملك، ومن ثم الانتماء إلى هذه الأرض ثم المجتمع الكبير، وفي ذلك تحقيق لأحد أساليب طريقة تنظيم المجتمع، الأسلوب الإنمائي.

٤ - انتزاع العصبية والقبلية التي تشكل عقبة كؤود في وجه التحضر، لأن هذه العادات المترسخة في نفوس البدو والمتوارثة كابرا عن كابر، لايزيلها إلا نقلة حضارية وتوعية شاملة، وهذا لن يتأتى إلا باستقرار البدو، لإتاحة استفادتهم من التوجيهات الدينية والاجتماعية، وبذلك تتحقق لهم تنمية اقتصادية واجتماعية متوازنة، تظهر أبعاد الرعاية الاجتماعية من خلالها.

وتبدو أهمية هذه الدراسة في أنها تصب في ميدان الخدمة الاجتماعية والرعاية الاجتماعية بصفة عامة، وهذه الميادين تعاني من قصور واضح في الدراسات العلمية على مستوى المجتمع العربي السعودي، حيث لم تخدم كما ينبغي، ولعل هذا هو الحافز للباحث للقيام بهذه الدراسة، لجعلها إضافة علمية في مجالات الرعاية الاجتماعية بشكل عام. ولعل هذه الدراسة أيضا تضيف نماذج جديدة لمفهوم القيادة، حيث إن الملك عبدالعزيز يعتبر رائدا في تفكيره ونهجه السياسي، وعبقريته الفذة، حيث كان له منهج متميز في القيادة وصنع القرار. بالإضافة إلى أن هذه الدراسة أيضا تعكس النشاط المبكر في مجال التنمية الاجتماعية، والإصلاح الاجتماعي في ضوء طريقة تنظيم المجتمع، أحد طرق الخدمة الاجتماعية الرئيسة، وإن لم يكن ذلك مؤطرًا، لكن الشواهد تدل على حتميته.

ولذلك فإن هذه الدراسة قد تسهم في تكوين نظرة أشمل وأدق لتلك المرحلة المهمة من تاريخ هذه الدولة العصرية، وتكتسب هذه الدراسة أهميتها من أنها طرقت أسلوبا جديدا في التحليل العلمي لتحري الصدق، حيث اعتمدت على ثلاثة محاور في جانبها الميداني، إذ استفادت من المقابلة شبه المقننة والملاحظة البسيطة على مستوى الخبراء العرب، والخبراء السعوديين، والإخباريين المحليين (الرواة) من أبناء الهجر، والذين يعتبرون هم الرواة الحقيقيون لتلك المرحلة، وهم كبار السن الذين عاصروا مشروع التوطين أو الحافظين لأخبار آبائهم حول ذلك العمل الإصلاحي الكبير.

وتتلخص أهداف هذه الدراسة "استراتيجية التوطين وتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية المتوازنة" في استقصاء دور التوطين في تحقيق التنمية الاجتماعية والاقتصادية من خلال زيادة الوعي الديني والثقافي، مع المحافظة على الحرف التقليدية كالزراعة والرعي، وإحياء الحركة التجارية والعمرانية، ومدى استمرارية عمليات التوطين لاطراد التنمية المعاصرة للمملكة العربية السعودية، والتي تظهر من خلال مراكز التنمية الاجتماعية والمجتمعات القروية، والجمعيات الخيرية والتعاونية.

كما اتسم الإطار المنهجي بالبعد الاجتماعي، حيث تعتبر هذه الدراسة من الدراسات الاجتماعية التاريخية الوصفية، التي تحاول فهم الجوانب التنموية لظاهرة التوطين. وقد تمت الاستفادة من المصادر التاريخية والوثائقية كتراث نظري، وهو ما يعرف بالمنهج

الاستقرائي، كما ربطت هذه الحركة التنموية بسياسة الرعاية الاجتماعية الوطنية التي تمت على ضوء الأسلوب الإنمائي لطريقة تنظيم المجتمع.

التوصيات

بما أن التخطيط والتقويم والتعديل شروط أساسية لإنجاح أي عملية إصلاحية، خاصة في إطار سياسة الرعاية الاجتماعية، وذلك لأن التعامل مع المجموعات البشرية يحتاج من المخططين إلى روية ومراجعة دائمة، بسبب الخصوصيات التي تتمتع بها هذه المجموعات والتي تجعل من التقويم المستمر أمرًا حتميًا، فليس المهم أن يجعل ابن البادية الذي يعيش حياة الحرية والانطلاقة، يلقي بعصا تسياره وينتقل من خيمته البسيطة إلى قصر منيف أو منزل خرساني قد يراه نوعا من أنواع السجن، بل المهم أن يتوطن هذا البدوي في فكره وسلوكه ويتم تطبيعه على القيم الإسلامية المثلى، ويتبنى الخلق القويم. على ضوء ذلك وبسبب ما تجمع لدى الباحث من معلومات حول موضوع الدراسة فإنه يوصي بما يلي:

١ - يجب ألا يؤدي التوطين إلى التخلي عن جوهر العادات والتقاليد الإيجابية في المجتمعات القبلية كالارتباط بالعشيرة وعدم التخلي عن مسؤولياتها.

٢ - يتطلب الأمر توفير أجهزة متابعة للوقوف على نجاح عوامل التغير، لأنه كلما قامت الدولة بالتخطيط لمثل هذه المشاريع على أسس علمية وتشكيل أجهزة متابعة جادة لتقويم مدى الإنجاز، كان ذلك ضامنا لنجاح هذه المشاريع.

٣ - يجب ألا تكون عمليات التوطين لمقصد التوطين فقط، وإنما يجب أن تصاحبها برامج إنتاجية واسعة لاستغلال القوى المتوطنة في عمليات الإنتاج، لرفع مستوى الدخل القومي وتحقيق التنمية الاجتماعية، بمساريها المادي والمعنوي وبشكل متوازن.

٤ - يجب ألا يعزل مجتمع الهجر عن المجتمعات الأخرى في المدن، حيث يجب أن تسهل المواصلات وعمليات الاتصال الثقافي والتجاري بين هذه الوحدات والمدن الكبيرة.

٥ - يتطلب التوطين عدم الإخلال بالبناء الاجتماعي السائد لدى البدو، ولذلك

يجب ربط سكان المنطقة الشاسعة بنقط تجمع، توجد فيها الخدمات الرئيسة، وتكون مراكز التقاء لعناصر القبائل كالمجتمعات القروية ومراكز التنمية الريفية.

٦ - مراعاة مقومات الحياة الأساسية عند اختيار أماكن الهجر، لكي لايحصل الخطأ الذي ارتكب في إنشاء هجرة الغطغط وعرعر لعدم توافر الماء فيهما، وأن ذلك يتطلب تكاليف مالية باهظة، وهو بالتالي أصبح معوقا لنموهما الحضري ويجب بذل المزيد من الجهود لتزويد هذه المدن والقرى بعنصر الحياة الهام ألا وهو الماء، لكي تستمر الحياة فيها.

٧- يجب ألا ينظر للتوطين على أنه مرحلة مرت وانتهت، بل هو عملية حيوية مستمرة لتخفيف الضغط على المدن الكبرى، وذلك بإنشاء مدن صغيرة تتمتع بخدمات المدن الكبرى على حد سواء، وتستوعب بعض السكان لكي يخف الضغط السكاني على المدينة وذلك للحد من تزايد الأحياء العشوائية، التي ربما تشوه المظهر الحضاري للمجتمع. وفي الوقت نفسه يجب الاستفادة من أساليب طريقة تنظيم المجتمع، إحدى طرق الخدمة الاجتماعية، لتوجيه التنمية الريفية لهذه القرى بجهود المختصين في مهنة الخدمة الاجتماعية.

٨- يجب أن يتواكب الاهتمام بعمليات التوطين والنشاط الرعوي على حد سواء، وذلك للمحافظة على الثروة الحيوانية والاستفادة من المراعي الطبيعية في تنمية هذه الثروة.

٩- يجب إدراك أن النشاط الرعوي يعتبر رافدا من روافد النشاط الاقتصادي الحر، إذ يوجد حرف قد تساهم في تخفيف البطالة التي تئن المجتمعات المتحضرة من وطأتها، كما يساهم في رفع مستوى المعيشة من خلال توفير اللحوم كعنصر أساسي للتغذية.

The Role of Saudi Settlement Strategies in Achieving Balanced Socioeconomic Growth: A Descriptive Analytical Study of the Socio-economic Dimensions of the Saudi Settlement Strategies during the Reign of King Abdul Aziz

Saad M. Al-Goaib

Associate Professor, Social Studies Department, College of Arts, King Saud University, Riyadh, Saudi Arabia

Abstract. There are two aspects to this study. First, it concentrates mainly on social work. Second, it depicts some early activities of social care in Saudi Arabia, especially the settlement of the bedouin as a project of social reform. In its practical aspect, this study utilizes three procedures. It benefits from formal interviews and simple observations of Arab as well as Saudi specialists. It also benefits from local narrators, who are basically the dwellers in the newly founded settlements. The main objective of this study is to examine thoroughly the role of the settlements in achieving balanced socioeconomic growth. It may be attributed to: (1) the increase in religio-cultural awareness; (2) the protection of traditional professions like agriculture and stock-raising; (3) the activation of local trade and urban development; and (4) the continuation in building more settlements. The many questions raised at the begining of the study have been tackled and, hopefully, answered. Appropriate recommendations were then made.